الحاضر:

في رحاب الاسلام

بقلم: البشير بن سلامة

في غضون شهر جانفي 1981 وفي بداية القرن الخامس عشر هجري انعقدت الندوة الاسلامية بمدينة القيروان (13 ـ 16 جانفي 1981) ثم احتفلت الأمة التونسية بالمولد النبوي الشريف وصادف أن كان يوم المولد هو الذكرى التاسعة والعشرون للمعركة الحاسمة من الثورة التونسية التي كانت آخر حلقة من كفاح شعب مسلم آلى على نفسه أن يتخلص من الاستعمار ويخلص وطنه من هيمنة الأجنبي الذي مد جذوره متشعبة في كل مجال على امتداد ثلاثة ارباع القرن ثم لما كانت مشيئة الله وارادة هذا الشعب المسلم بقيادة رجال « صدقوا ما عاهدوا الله عليه » أستطاعوا أن يجتثوا جذور ذلك الاستعمار وكانوا مصداقا لقوله تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبّت اقدامكم » .

ولم تكن الثورة التحريرية التونسية التي انطلقت يوم 18 جانفي 1952 تشعر بالتقوقع الذاتي أو الشعور القومي المحدود بل كانت تتجه في أهدافها من القريب الى البعيد ، وفي غاياتها من الجزء الى الكل إيمانا منها بأن الأمة العربية كلها والعالم الاسلامي بأجمعه ـ ذلك الجسد الواحد ككل الأجساد ـ لا تكون حية الا بحياة خلاياها ، وتونس كخلية من ذلك الجسد ما كان كفاحها ونضال أهلها ـ سواء في فترة التحرير القومي أو قبلها أو بعدها والى اليوم ـ « مقصور الغرض على حدودها الجغرافية محدود المغزى على هذه الرقعة الترابية الضيقة من موطن الاسلام الأكبر ، فما غاب عن نفوسنا ـ طيلة

الكفاح ـ الشعور الأصيل بأن معركة القومية بالأمس واليوم إنما هى جزء من معركة الاسلام فى أشمل أبعاده الجغرافية وأعرق جذوره التاريخية ، وان ما يمتحن به الله صفوفنا فى هذه أو تلك من معاركنا ليمتحن بـه دار الاسـلام قاطبة ، وانه ما كلل الله سبحانه وتعالى مساعى هذه الأمة بنصر من لدنه الا كان فيـه للمسلمين جميعـا بمشـارق الأرض ومغاربهـا نصيب من المنـاعة والاعتزاز والفخر » (1) .

وليس من نافلة القول أن نجزم أن ثورة الشعب التونسى إنما كانت جهادا بالمعنى الاسلامى الخالص وكان المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة يعطى للكفاح التحريرى التونسى هذا النفس ويغذيه بهذه الروح خاصة فى خطبه التى كانت تزخر بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

وليس غريبا أن نجده ـ فى نهاية الكلمة التى خطها فى السجل الذهبى لمركز الاتحاد الجهوى للشغل بسوسة أثناء زيارته لها قبل الثورة بعشرة أيام فقط . ـ يدعو للوطنيين : « بأن يأخذ الله بأيديهم ويوفقهم الى ما فيه إنقاذ الوطن من ذل الاستعمار وإعلاء كلمة الدين » (2) . ولئن كان دعاؤه فى هـذه الكلمـة متجها به إلى الوطنيين التونسيين وهم مقبلون على خوض مركة التحرير التى لم تكن محدودة المغزى على هذه الرقعة الترابية الضيقة من مـوطن الاسـلام الأكبر ـ كما اسلفنا ـ فاننا نسمعه يتجه فى نهاية احدى خطبه بالدعاء الى

---

(1) من خطب الرئيس التوجيهية ـ تونس 22 / 8 / 1961 .

(2) من كلمة خطها المجاهد الأكبر منذ زيارته لمركز الاتحاد الجهوى بسوسة فى 8 جانفى 1952 إذ كتب : « الحمد لله وحده ، تشرفت بزيارة مركز الاتحاد الجهوى بسوسة فى الوقت الذى تجتاز فيه القضيـة الـوطنية مرحلتهـا الحاسمة فأبهرنى ما لمسته فى أعضائه من روح الكفاح والشعور بالمسؤولية الملقاة على رجاله لا نحو الطبقة الشغيلة فحسب بل نحو الأمة التونسية جمعاء التى أصبحت جسدا حيا مكتمل القوى . « **أخذ الله بيدهم ووفقهم الى ما فيه إنقاذ الوطن من ذل الاستعمار وإعلاء كلمة الدين » .**

الله : « أن يطهر البلاد العربية والاسلامية من كل ما ينال من عزتها ويحدد من سيادتها وأن يجعلها دوما متساندة مجتمعة الكلمة » (3) .

ولا غرابة أن نجد دولة الاستقلال تحيي الدين في أصفى مجاليه وتربطه بروح العصر وتقيم المساجد وتنظم الندوات وتقحم التربية الدينية في المدارس وتطور التعليم الديني لتكون الروح الدينية درعا يقي شخصيتنا من الاستلاب والتذبذب والتفسخ والمسخ .

وإن الوعي باذكاء الروح الدينية على الوجه الصحيح الصافي النبع لهو شغل المسلمين الشاغل اليوم في كل أقطار الدنيا . وإن الندوة الاسلامية المنعقدة بالطائف لدليل آخر على هذا الوعي بخطورة الرهان في خضم عالم اليوم المتمزق بين شتى المتناقضات وتضارب المصالح .

وإنه ليس من قبيل البديهيات أن نؤكد على أنه لا يمكن للمسلمين أن يستقيم أمرهم إلا بوحدة صفوفهم المتمثلة في وحدة الكلمة بين دولهم . ولن يتأتى ذلك إلا إذا قرأنا الحساب لعدة اعتبارات كنا شرحناها مرات عديدة على صفحات هذه المجلة .

وإن أكبر آفة أضعفت المسلمين في العصور الخالية وتركتهم جميعا نهبة للاستعمار والتبعية إنما هي انقسام المسلمين الى فرق وشيع. وليس الانقسام في حد ذاته هو الذي أضر بالمسلمين لأن ذلك من طبيعة الأمور اذ هو يرجع الى تصور للدين يتماشى مع المكان والزمان بالنظر الى المذاهب المعترف بها من قبل جميع المسلمين وغير المعترف بها بل إن الذي أضر أفدح الضرر بهم هو ذلك التعصب ، فكل فرقة تنتصر لرؤيتها في الدين وتكفر غيرها وتحاربه من أجل ذلك .

---

(3) نفس المصدر رقم (1) .

وإذا كان الاسلام أقر التسامح مبدأ من مبادئه تجاه الأديان الأخرى وتجاه البشرية بأجناسها المختلفة فهل يعقل أن يجرد ـ بين أبناء الدين الواحد ـ سيف التعصب ويذبح التسامح قربانا للمطامع السياسية والمصالح العشوائية الآنيـة !؟

وإن ذلك سببه في الواقع ما قلناه على صفحات هذه المجلـة من أن فقهـاء المسلمين لم يقدروا في الفترة الاولى من انتشار الاسلام على الخوض بكل حرية في نظام الحكم الاسلامي وإقرار الهياكل الاساسية المبدئية على معنى الشورى كمبدإ من مبادىء الحكم .

ولقد كان ذلك سببا من أسباب انزلاق الخلافة الاسلامية الى الملك العضوض وتسترها بالدين في الظاهر بينما كانت الهياكـل منقـولة عن الامبراطوريات المعروفة في ذلك العصر .

وانجر عن هذا أن انساق المسلمـون الى العبـودية في معناهـا الـواسع وانصرفوا عن العبادة الحق (4) والحال أن أهم دعـامة من دعـائم الاسلام هي الخروج من العبودية والتحرر منها إذ سوى الاسلام بين جميع الاجنـاس ولم يفرق بين العبيد والاحرار إلا بالتقوى كما في الحديث النبـوي الشـريف : « كلكم سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » . وهكذا نرى الاسلام قد فتـح البـاب الى ثـورة تحررية إنسانية لم تعرفها البشرية في ذلك الـوقت وهي الحض على عتـق الـرقيق تعبدا وزلفى .

وإن روح هذا التحرر هي التي جعلت الشعوب تدخـل في الاسـلام عن طواعية في سرعة لم يشهدها التاريخ بالنسبة الى الاديان الاخرى . وهو دليل واضح على أن الاسلام كان دافعا الى إذكاء روح الوطنية إذ أقر شعورا له ابعاده

(4) راجع افتتاحية عدد 3 ـ ديسمبر 1981 . «من العبودية الى العبادة الحق» .

الكبيرة وهو « حب الوطن من الايمان » وذلك ما دعا شعوبا كثيرة الى التحكم فى مصيرها كما نقول اليوم والى زحزحة نير الاستعمار والعبودية وإجلاء الأجنبى الغاصب عن الأوطان .

وهذه النظرة لا تتعارض فى الواقع مع شمول الاسلام وشيوعه فى الانسانية قاطبة بل هو يمكن الشعوب من أن تثرى خصوصيتها بالنظر الى الدين الذى يجمعها بغيرها من المسلمين وأن تكون رافدا لنهر الاسلام الكبير. ولا يمكن لأى كان أن ينكر ما صنعته إسبانيا المسلمة من حضارة نوعية والمغرب العربى وبلدان آسيا (فى هذا الباب يمكن الرجوع الى الفلاسفة المسلمين ونوعية فلسفتهم بحسب أوطانهم وآخرهم محمد إقبال) .

ولهذا فانه لا يمكن أن يستقيم أمر المسلمين إلا إذا رجعنا الى هذه المبادىء وأقمنا ـ خاصة ـ الشورى كمبدإ ديمقراطى ، وطورناها على حسب ما وصلت اليه أقطار أخرى تقدمتنا فى ذلك ، هذا اذا نحن أعوزنا الاستنباط فى عصر سارت فيه البلدان الغربية أشواطا بعيدة فى هذا الباب .

البشير بن سلامة

تهنئـــة

تتقدم أسرة مجلة « الفكـر » الى رئيس تحريرها الأستاذ البشير بن سلامة بأحـر التهانى وأجمل التمنيات بمناسبة تعيينـه وزيرا للشؤون الثقافيـة . راجيـة الله ان يوفقـه فى دعم المسار الثقافى التونسى خاصة والعربى عامـــة .

عصفور الصباح

شعر : د. جعفر ماجد

يا طلعةَ الفجرِ من نومي تنبِّهني
وبسمةُ الصبح في مهدي تحييني
أنامُ ليلي لأنّي اشتقتُ موعدَها
وأرتجيها كأنفاس الرّياحين
أحبّ فيها كلاما غيرَ متّسق
مكسَّرَ اللفظ مختلّ الموازين
وأشتهي نغمة تأتي موقعة
فيورق البيت حولي حين تأتيني
ويدخُل النور حبْوا منْ نوافذنا
كصوتكَ العذب في دفءٍ يغنيني

* * *

مروانُ يا طربي مروان يا شغبي
حسبي وحسبك حبّ غير ممنون
يلومني الناس أنْ قد كان لي ولد
مدلل بأبيه .. فليلوموني
أعطيتني كلّ ما تحلو الحياة به
ولم تزل بسخاء الطفل تعطيني
أعودُ للبيت أتعابي منوعة
حتى أراكَ فألقيها .. وتلقيمني
إذا غضبتُ سريعا ما نضاحكني
وإن سئمتُ سريعا ما تُسلّني
نشأتُ وحدي بلا عطف يساعدني
وعشتُ وحدي بلاحبّ يغذّيني
وأنتمُ يا كنوزَ العمرعشتُ بكمْ
عهدَ الطفولة من حين الى حين
أظلُ طفلا صغيرا را بعا معكمْ
فأشتهي لكم ما تشتهي عيني
ما لم أنلْه لنفسي نلته لكمُ
وكنتُ ألعبُ بين الماء والطين
حتى تعلمتُ ألعابا كبرتُ بها
في طيّ عمري على حيّ المساكين
هذا نصيبي وهذا في الدّنى قدري
وذاك حظّ من الأيام يكفيني
ولنْ أعوّلَ في الدنيا على أحد
سوى معزّ ومروان وزيدون (1)

جعفر ماجد

(1) ابني الصغير زياد وعمره ثلاثة أشهر .

في الذكرى 45 لوفاة المصلح التونسي الطاهر الحداد (1899 - 1935)

الاجتهاد في الإسلام وموقف الحداد منه

بقلم : محمد أنور بوسنينه

في عشية يوم عابس متجهم ، وفي لحظات محزنة قاتمة ، شيع جمع قليل من الرفاق جثمان المصلح الشهيد الطاهر الحداد . كان ذلك يوم الثامن من ديسمبر 1935 فمن هو هذا الرجل الذى نحتفل اليوم بذكراه بعد مرور 45 سنة على وفاته ؟! وما هى اسباب انزواء الكثير عنه وابتعادهم دونه ، وما سبب سخطهم عليه ومواقفهم ضده ؟ لماذا كل هذه الحملة الشنيعة عليه وتكفيره ورميه بأقذع أنواع السب والشتم والاشارة المخزية ؟! لقد محضهم النصح فأبوا وارشدهم فزاغوا ؛ كان على الفطرة فى تسامحه وحسن اخلاقه فى جده واجتهاده ، فى كل ما يقوم به من عمل ، لا يرمى من وراء ذلك نفعا او اعتلاء مرتبة ، أو حب ظهور . وكلما تمر السنون يزداد اليقين افصاحا عما كان لهذ العبقرية من مواقف خلدها التاريخ بمداد الفخر والاعتزاز . وانى بهذه المقدمة لا أزيد شيئا كثيرا عما قام به رفيقه الاول وملازمه الاوحد فى السراء والضراء مثال الصداقة البريئة التى لا تفل فيها المحن والارزاء واعنى بـه المرحوم أحمد الدرعى فقد كفانا مؤونة البحث عن تحديد معالم هذه الشخصية الفذة فى تاريخ وطننا العزيز بكتابيه « حياة الطاهر الحداد » (1) « ودفاعا عن الحداد » (2) لكن ما انا مقبل عليه من عمل هو اجتهاد شخصى (*)

---

1 — حياة الطاهر الحداد — أحمد الدرعى .
تقديم وتحقيق كاتب المقال — نشر الدار العربية للكتاب — تونس — ليبيا 1395 — 1975 .

2 — دفاعا عن الحداد أو بكت كتب الكبت — احمد الدرعى — تقديم وتحقيق كاتب المقال — نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله — تونس 1976

(*) انظر ما كتبناه حول الحداد بجريدة « الصباح » بتواريخ : 10 — 12 — 1974 و 7 — 12 — 1975 و 9 — 12 — 1976 و 9 — 4 — 1977 و 12 — 3 — 1980 .

فى التعرف على كنه هذا المصلح من حيث نظرته الى الاجتهاد والاسلام فى فترة كانت فيها البلاد التونسية ترزح تحت نير المستعمر الغاشم وسلطة الباى الظالمة مع هذه التيارات الرجعية المتباينة والتى يمثلها بعض رجال الدين المتعصبين ، والذين رأوا فى الحفاظ على القديم ضمانا لمصالحهم الدنيوية الخسيسة . كان الحداد يرى رأى العين بنفسه أمة ممزقة الاوصال تنهشها انياب الذئاب من كل جهة وفى كل مكان ، أمة أصبح الفقر والجهل من أهم خصائصها ، أمة مكبلة بقيود من الاغلال الحديدية الحادة ، فتائر للحال وغضب وثار ، ولكنه غضب فى رصانة ، وثورة عن حكمة وبعد نظر فكانت مراقبه المشهودة منذ مطلع شبابه وقد ضحى بكل غال ونفيس من أجل هذه الامة الكريمة . واذا ما وقف البعض من هذا الاندفاع عن كونه « اندفاع شاب متحمس » او « الحداد كفاح اجتماعي بدون بوصلة سياسية » فان الواقع والتاريخ يقران عكس هذه الاحكام السريعة وكما قال الشيخ الاديب محمد النخلى (3) :

ليس الحداثة فى سن بمانعة

قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

فلم يكن الحداد من المتهورين المتحمسين بالصدفة ، ولم يكن من اولئك الذين يبحثون عن الاصلاح من أجل الزعامة او امتلاك ثروة أو جاه ، كلا ! بل هى بذرة الاصلاح الكامنة فى نفسه منذ أيفع ، وهى بذرة الخير فى الروح من أجل الغير والاخذ بيده كى يصل شاطىء السلامة آمنا ـ وبالجملة فليس لنا امكانية التوضيح والتفصيل قبل عرض موجز عن المراحل الهامة التى مرت على حياته ومن ثم نستطيع التحليل ثم الاستقراء والاستنتاج .

خمس عشرة سنة من حياة الحداد كلها نضال ودفاع عن حقوق الشعب المسكين ثم عن العمال الكادحين وأخيرا عن حال المرأة السلبية من كل صفة من صفات الكرامة الانسانية ـ ولم تكن هذه المراحل محض الاختيار بقدر ما هى بحكم الظروف السياسية والاجتماعية التى تعيشها البلاد فى فترة العشرينات واوائل الثلاثينات .

---

3 ـ محمد النخلى ـ راجع مقالنا عنه بجريدة الصباح بعنوان محمد النخلى رائد النهضة الفكرية بجامع الزيتونة ـ 4 جانفى 1980 .

فالفترة الاولى انتهى أمرها بعد يأس الحداد من الاصلاح السياسي واعتباره وسيلة لا غاية إذ بمجرد ما لاحظ ذاك التعنت من رجال الحزب القديم وعملهم السلبي القعيد ، حول طاقتــه رفقة محمد علي الى الكفاح النقابي لكن هــذه المقاومة لم تدم طويلا اذ زج بالرفاق المصلحين في السجن ، وابعد محمــد علي ، وكانت النكبة وانفض القوم عن الحداد ووجد نفسه وحيدا فــي صراع طويل المدى مع الرجعية وأذنابها ومع الاستعمار وأعوانــه ومع رجال الديــن المتزمتين ، ولكنه وبحكم طاقتــه الخلاقة وحيويته المتدفقة لم يبق مكتــوف الايدي ورأى ان الجهاد عليه محتم بكل الوسائل فكان كتابــه « العمال » (4) ثم كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » (5) والذي حوى العديد من المقالات التي سبق ان نشرها في الصحافة بعد المعركة السياسية والنقابية ، وكانت الضجة وكان المؤيد والمخالف .

هذه عجالة موجزة عن أهم المراحل التي مرت على الحداد اثــر تخرجه من جامع الزيتونة حاملا لشهادة التطويع وكان ذلك سنة 1920 ومن هنا نستطيع ربط الاسباب بالنتائــج من حيث تكوين الحداد الزيتونــي ومن حيــث مــدى استعداده لمواجهة أهم المشكلات التي تعترض سبيل الشعب التونسي .

ولست هنا بمطيل عن قيمة تكوينه العام وثقافته الواسعة فقد كفانا الدرعي مؤونة الوصول الى النتيجة وكذلك ما قام به الحداد ذاته من اعمال في ميدان الصحافة والتأليف ، لكن ما انا راغب في اثباته مباشرة وحتــى لا أطيل هــو هذا التعمق في البحث والاستنتاج لدى الحداد اعتمــادا على النص القــرآني والسنة النبوية والقياس ؛ وقبل تحليل هذا الجانب ، يجدر بنــا ان نشيــر الى الجانب الديني عنده وكيف ينظر الــى الاسلام كديــن صالح لكل زمــان ومكان ، وما كانت هــذه المواقف التي وقفها والآراء المعبــرة التي أوردها الا تقييما للظروف التي أحــاطت بــه ، زد على ذلك موقف البعض من أفكــاره وآرائه الاصلاحية الرائدة خنقا للفكر وقتلا للروح وقد قاوم الحداد هذه الآفة الى آخر رمق من حياته دفاعا عن الاسلام ومبادئه الساميــة النبيلة . الم يكن الاسلام من خلال كتاب الله العزيز رائــد الدعــوة الى التأمل واعمــال الفكر . قال جل شأنه : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » .

---

4 – العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية – الطاهر الحداد . الطبعة الأولى 1346 هـ – 1927 م .

5 – امرأتنا فــي الشريعــة والمجتمــع – الطاهر الحداد الطبعة الاولى – تونس – 1348 هـ 1930 .

وانظر مليا فيما ورد فى الحديث الشريف قوله عليه السلام « أنا اقضى بينكم بالرأى فيما لم ينزل فيه وحى » . وبهذا وذاك كان الرسول الكريم أول من أعتمد الرأى أصلا من اصول التشريع الاسلامي واول مجتهد فى الاسلام . ولطالما وقف عليه السلام وقفاته الكريمة فى هذا المجال حاثا أصحابه رضوان الله عليهم على الاجتهاد وقد خاطب ابن مسعود قائلا : «اقض بالكتاب والسنة ، اذا وجدتهما ، فاذا لم تجد الحكم فيهما اجتهد رأيك»

والمواقف فى هذا المجال عديدة متنوعة عهد النبى الامين حتى شاعت عفان وعلى كرم الله وجهه وعبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم كثير .

وتأمل معى فى هذا الموقف العظيم والتوجيه الحكيم والاشارة السديدة حين خاطب عمر رضى الله عنه أبا موسى الاشعرى وقد ولاه الكوفة :

« ... الفهم ، الفهم فيما تلجلج فى صدرك مما ليس فى كتاب ولا سنة ، ثم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها » كل ذلك حرصا على ان يكون الفهم والرأى الصائب عنصرى تزكية للاجتهاد من أجل مصلحة أمة الاسلام .

وبتطور الاوضاع السياسية والاجتماعية للامة الاسلامية وباتساع رقعة بلاد الاسلام تطورت الآراء وتباينت وبرز علماء أجلاء لهم مذهب وقول ولهم أنصار ومؤيدون فكان مالك بن انس وكان أبو حنيفة النعمان ثم الامامان الشافعى وابن حنبل . ولست بمطيل فى هذه النقطة بالذات وما كان من تأثير اشعاع الاجتهاد وابداء الرأى ومناقشته بالحجة والدليل .

ان الدين الاسلامى دين الفطرة والعقل واصوله موافقة لمرافق الناس فى كل زمان ومكان ، حتى الاعتقاد فيه لا يكون بالاكراه والقوة والقسر ، ولم يحجر حرية التفكير فى البدء والنهاية « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » . وان اوامر هذا الدين الحنيف لم تكن الا بما يوافق المنطق والعقل ، فدعا الى التدبر والبحث والتفكير الصائب والنظر البعيد . ألم يكن البرهان دائما دعامته اذا ما أمر ودعا ، ألم تكن الحجة الساطعة دليلا على تقوية الغرض اذا أحل أو حرم ؟ وهكذا تحررت النفوس من اسر التقاليد البالية والعادات المهلكة القاضية فأخرج الناس من سجن المعتقدات الواهية ودخلوا فيه أفواجا تحت ظلاله الوارفة وما كان ذلك الا عن اقتناع بصحته

وصوابه وتشبعهم بمبادئه السامية الجليلة لا سلطان للدين الا السماحة ولا قوة الا النور والبهاء فتجاوبت معه العقول الراجحة وانقادت اليه الافكار النيرة السليمة . وبالجملة فما كان ابن خلدون حين أبدى رأيه في اختلاف الايمة الاربعة الا موافقا لهذا المنزع في الاجتهاد من أجل المصلحة واحترام مبدأ حرية الراى والتفكير ، وقد برز كل مناصر لمذهبه يؤيد بالحجة والبرهان بعد أن « اقتصر الناس على تقليدهم (أى الايمة) ومنعوا من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد وصعوبته وتشعب العلوم ... » الى ان يقول عن هذا الخلاف فى ابداء الراى بعد الايمة ومناصرتهم من حيث المبدإ الفقهى : « ... كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات ، ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التى يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الا أن المجتهد يحتاج اليها للاستنباط ، وصاحب الخلافيات يحتاج اليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلته . وهو لعمرى علم جليل الفائدة فى معرفة مآخذ الايمة وادلتهم ، ومران المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه » هـ (6) وتأمل معى فى هذه المقولة للدكتور فاضل الجمالى فى محاضرته التى ألقاها فى بغداد بكلية دار العلوم على طلبة الصف الخامس وكان ذلك منذ قرابة الخمسين عاما يقول :

« يجب أن ننظر الى الدين الاسلامى أكثر من كونه دينا واضيف الى كونه دينا بالمعنى الفلسفى والاخلاقى والاجتماعى فهو دين اجتماعى تشريعى ويجب أن ننظر كذلك أن الدين الاسلامى يمثل ثقافة الامة العربية وهو قد نبع من روحيتها وفيه من التشريع والقوانين الملائمة لروح الامة ما لا تضاهيه فيه أية قوانين اخرى هذا على شرط أن يبقى هذا التشريع منطبقا وملائما لتطور العصور وأن لا يجحد . يقول الدكتور « بيكر » وزير معارف ألمانيا السابق : فى التشريع الاسلامى من القوانين العلمية والملائمة للروح الاسلامية ما لا يوجد فى أى تشريع آخر . ولكن العلة علة التطبيق . اذن من الناحية التشريعية هو اليق وأصلح لثقافتنا ولمجتمعنا من أى تشريع آخر بشرط ان يفتح باب الاجتهاد من جديد وانا نريد نوعا من الاجتهاد العصرى مثل خدمة الشيخ محمد عبده ... » (7) .

---

6 ــ ابن خلدون ــ المقدمة ــ ص 823 ــ طبعة دار الكتاب اللبنانى ــ 1956.
7 ــ الدكتور فاضل الجمالى ــ محاضرة ــ مجلة الهداية بغداد ــ العدد 153 فى ذى الحجة 1352 هـ .

هذا وقد أورد الدكتور عثمان أميـن (8) ملاحظـة حول اتجاه هذا الامام من كون أغلب من كتبوا عنه « أن أهم رسالة اضطلع بها ذلك الامام هى الاصلاح الدينى الاسلامى » (9) أليس محمد عبده هو الذى يصبح فى أواخر حياته مفتيا للديار المصرية فيدعو الى التسامح الدينى والى الاجتهاد في الرأى ، والى التفكير المستقل عن كل سلطة الا سلطة العقل ، وهـو الذى صرح غيـر مـرة ، ان المباحث التقليديـة التى يقضى فيها شيوخ الازهـر أعمارهم لا تعـدل جهد ساعة واحدة اذا لم تنفع الناس فى أعمالهم وفى تدبير حياتهم . (10)

ألم يكن مقصده من تفسير القرآن الكريـم هو « فهم الكتاب من حيـث هو دين يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيـا وحياتهم الآخـرة . » (11) وكثيرة هـى تلك المواقف المشهودة التـى وقفها فى الاصلاح الاخلاقى وموقف الاسلام من الصوفية وتعدد الزوجات وغير ذلك .

وهذا المجاهد العالم محمد الخضـر حسين (1874 ـ 1958) يلقى نظـرة على تاريخ الفقه فى تونس فيستخلص ما يلـــى :

« اذا تحدثت عن فقهاء تونس ، فلا اتحدث عمن يحفظ أقـوال أهـل العلـم ويلقيها فى الدرس ، أو يجمعها فى كتاب على نحو ما حفظهـا ، وانما اتحدث عمن درس أحكام الشريعـة ، وعرف أوجـه ارتباطها باصولها ، واذا تجددت حادثـة استطاع ان يرجع الـى دلائل الشريعة ، ويستنبط لها حكمـا ينطبق عليها » وفى ثنايا بحثه عن المراحل التى مرت بها البلاد التونسية منذ الفتح الاسلامـى الى عهده ، يشير الى بروز علماء أجـلاء فى مختلـف العصور بدءا بعبد الله بن الزبير وعقبة بن نافع وعبد الرحمن بن رافـع التنـوخى وهـو أول من ولي القضاء بالقيروان ، وعلى بن زياد واسد بن الفرات والامام سحنون

---

8 ـ انظر كتاب محمـد عبده رائد الفكر المصرى للدكتـور عثمان أمين ـ مكتبة النهضة المصرية 1955 .

9 ـ رشيد رضا ـ تاريخ الاستـاذ الامام محمـد عبده ـ ج ـ 1 ـ (تصدير) القاهرة 1931 .

10 ـ الجزء الثانى ـ (المنشئات) جمعه الشيخ رشيد رضـا ـ مطبعة المنار الطبعة الثانية القاهرة 1344 هـ ـ 1926 .

11 ـ تفسير سورة الفاتحة ـ محمد عبده ـ القاهرة 1905 ـ الطبعة الرابعة ـ مطبعة المنار 1926 .

صاحب « المدونة » والذى انتشر عنه مذهب مالك فى تونس بل فى المغرب كله وتخرج بين يديه رجال خدموا الفقه بالاستنباط والتدريس والتأليف وهؤلاء يعتبرون الركيزة الاولى التى تأسست عليها صروح الفقه الاسلامى فى البلاد التونسية .

وبعد ان يعدد الشيخ الخضر ذكر الكثير ممن ظهروا على ساحة العلم بعلمهم الغزير سواء فى المائة الثالثة او السادسة او السابعة او الثامنة أو التاسعة حيث ابن خلدون والامام ابن عرفة والابى والبرزلى وفى آخر المائة العاشرة التحقت تونس بولايات الدولة العثمانية فكان أبو الحسن النفاتى المتوفى سنة 1049 هـ ، أول من كسا القضاء فيها عظمة وكرامة . وما ان كان نظام التعليم الزيتونى سنة 1256 هـ على يد الامير أحمد باى حتى ازدادت النهضة العلمية ... « وقد أخرج جامع الزيتونة بعد هذا النظام فقهاء أجلة يعتزون بعلمهم ويزهدون فى المناصب الا أن تحيط بها العزة والكرامة كعمر بن الشيخ واحمد بن الخوجة ومحمد النجار ... ومن نظر فى فتاوى هؤلاء الاساتذة أو رسائلهم التى حرروا بها بعض المسائل العويصة رآهم كيف يرجعون الى الاصول والقواعد ومراعاة المصالح ولا يقنعون بنقل الاقوال دون أن يؤولوها بالنقد والمناقشة .

ويدلنا التاريخ القريب أن بعض رجال الدولة وجدوا عندما اتجهوا الى اصلاح الحالة السياسية أو العلمية أو الاجتماعية فقهاء يدركون مقتضيات العصر ، ويعرفون كيف تسعها أصول الشريعة بحق فكانوا يعقدون منهم بعض لجانهم ويستنيرون بآرائهم مثل أساتذتنا الشيخ عمر بن الشيخ والشيخ سالم ابى حاجب والشيخ مصطفى رضوان » (12) وليس لى ازاء هذه البسطة التى اوردتها الا ان اقف قليلا أمام الظروف التى حاطت بالبلاد التونسية فى مطلع هذا القرن وكيف ان بعض الشيوخ ارتدوا عن المبادى السامية الحنيفة حفاظا على مكاسبهم ومراتبهم ووقفوا حجر عثرة فى طريق كل مصلح مفكر . الم يكن الشيخ محمد النخلى ورفيقه سعد السطيفى من الرائدين المجتهدين لكنهما وجدا المعارضة وقطع السبيل ويعرف بهما الحداد حين حديثه عن الاجتهاد وحال العلوم بجامع الزيتونة فى عهده قائلا :

---

12 ــ محمد الخضر حسين ــ تونس وجامع الزيتونة ــ جمع وتحقيق على الرضا التونسى ــ المطبعة التعاونية دمشق ــ 1971 .

« ... غير انهم (الشيوخ) ويـا للاسف قد جروا علـى خلاف ذلك فأيـدوا الروح الموروث عن شيوخهم وحرموا رائحة التفكير المستقل في عامة العلوم وأغـروا تلاميذهم بالتشنيع علـى من يتظاهر من الشيوخ بشـيء من الـرأي المخالف للمألوف بالمعهـد حتى ولو كان موافقـا لرأي قديم اختـاره بعض العلماء السالفين فقد عاش المرحوم محمد النخلـي جزءا من حياتـه بالمعهـد (الزيتوني) وهو مطعون في عقيدته بما أضاع كثيرا من نشاطـه في الدروس وجعله يقرىء دروسه بعد كعمل ميكانيكي يفرضه عليه الوظيف وكذلك طعـن على المرحوم الشيخ سعد السطيفي حتى مات مدحورا في بيته المظلم الصغير بمدرسة النخلـة حذو الجامع الاعظم ... » (13) ومـن هنـا نربط الاسبـاب بالنتائج ونعود الى الطاهر الحداد هذا المصلح الداعـي الـى التفكيـر الحر واجتناب التقليد الاعمى وقد كان من تلاميذ الشيخ النخلي ، والشيخ سعـد السطيفي والمجاهد المصلح عبد الحميد بن باديس ، فهل وجد الارض خصبة مؤهلة لافكاره وآرائه . كلا ، وما موقف الشيوخ منه وموقفه منهم الا اكبر دليل على ما عانى وقاسى من تعنتهم وتحجرهم وعدم رضاهم بالصبح الواضح والفجر الوضاء وكثيرة هي تلك القصائد التي حوت العديد من المواقف التي وقفها الحداد ضدهم وضد صنيعهم وجمودهـــم :

وهـــذا الجمـود لديهـم فخـــار
يعـد لـه النشء منـذ الفطـام (14)

ويقـــول :

نحـن شبـان عصـرنـا مـا لقينـــا
العيش الا فـي ساحة البهتـــان (15)

---

13 ـ من كتـاب تاريخ جامع الزيتونـة للطاهر الحـداد ـ وستتولـى الدار التونسية طبعه وهو من تقديم وتحقيق كاتب المقال .

14 ـ من قصيد « ظل الموت » للحـــداد ـ وهو بتاريخ 17 اوت 1932 (لـــم ينشــــر) .

15 ـ من قصيد « ضحايا الماضي » بتاريخ 21 فيفري 1933 .

ويقول في مجموع الشيـــوخ :

قـــد انلناهـــم الـــــذي طلبـــوه
أفهـل كـان غيـــر ذل وفقـــر (16)

وغير هذه الابيات كثير مما يضيق به مكان هذا الموضوع .

اذن لقـد جاهد الحداد بالفكر والقلم مـن اجل توضيح معالم الطريق امام الناشئة كي تدرك أن أسباب الرقي والاصلاح لا تكون الا باعمال الفكر وتحكيم العقل ونبذ كل مـا هو غير مفيد وغير متماش مع مصلحة المجموع كل ذلـك والدين رائـده ، هدفه وغايته .

وانظر معي قول الحداد :

وقد رأيت بعيـن اليقين أن الاسلام بريء من تهمة تعطيلـه الاصلاح ، بل هو دينه القويم ومنبعه الذي لا ينضب ، وما كان انهيار صرحنا الا من أوهـام اعتقدناها وعادات مهلكة وفظيعة حكمناها في رقابنا .. » « .. امرأتنا » ص 4 .

وقولـــــه :

« ان القرآن لم يبوب لاحكامه بحسب الموضوع طبق الاصول النظرية في تدوين المبادىء والكتب وبذلك كانت شريعته نتيجة ما في الحياة من تطـور لا أنها فصول وضعت من قبل لحمل الحياة على قبولها وهذا من أهم أسبـاب انتشاره المدهش في الزمن القريب ... والى ان يقول : يجب أن نعتبر الفرق الكبير البين بين ما أتى به الاسلام وجاء من أجلـه وهو جوهره ومعناه فيبقـى خالدا بخلوده كعقيدة التوحيد ومكارم الاخلاقواقامة قسطاس العدل والمساواة بين الناس ، وما هو فـي معنى هذه الاصـول ، وبين مـا وجده من الاحـوال العارضة للبشريـة والنفسيات الراسخة في الجاهلية قبلـه دون أن تكـون غرضا من أغراضه ، فمـا يضع لهـا من الاحكـام اقرارا لها او تعديلا فيها باق ما بقيت هي فاذا ما ذهبت ذهبت أحكامهـا معهـا وليس في ذهابهمـا جميعـا مـا يضير الاسلام وذلك كمسائل العبيد والاماء وتعدد الزوجات ونحوها ممـا لا يمكن اعتباره حتى كجزء من الاسلام » امرأتنا ص 6 .

---

16 ــ نفس المصـدر .

وتأمل قوله :

ان الحياة طويلة العمر جدا ، وبقدر ما فيها من الطول بقدر ما فيها من الاطوار المعبرة عن جوهر معناها واخص مميزاتها . ونحو عشرين سنة من حياة النبىء فى تأسيس الاسلام كفت بل أوجبت نسخ نصوص بنصوص وأحكام بأحكام اعتبارا لهذه السنة الازلية فكيف بنا اذا وقفنا بالاسلام الخالد أمام الاجيال والقرون المتعاقبة بعد بلا انقطاع ونحن لا نتبدل ولا نتغير .. » امرأتنا ص 6 .

تلك هى شجاعة الحداد واصداعه برأيه ، وهذه قطرة من بحر من مواقفه الرائدة بدون جبن أو تخاذل كل ذلك من أجل مصلحة التونسيين خاصة والمسلمين عامة ، ولكم أتى بالحجة والدليل فى ثنايا كتابه « امرأتنا » وحتى كتابه « العمال » حين قاوم الزوايا وحمل عليها حملة شعواء وقد كانت تناصر المستعمر وتشد ازره وتتألب على الشعب معه . راجع العمال ص 23 و 24 الطبعة الاولى .

وعودة الى كتاب « امرأتنا » لنرى موقفه من التشريع والاجتهاد وفقهاء الاسلام عبر القرون .

« ان عامة فقهاء الاسلام من سائر القرون الا ما شذ يجنحون الى العمل باقوال من تقدمهم فى العصر ولو بمئات السنين ، ويحكمون بأحكامهم مهما تباينت أحوال المجتمعات الاسلامية باختلاف العصور وهم يميلون فى أخذ الاحكام الى تفهم ألفاظ النصوص وما تحتمل من معنى أكثر بكثير مما يميلون الى معرفة أوجه انطباق تلك النصوص على حاجات العصر وما تقتضيه مصلحة المجتمع الحاضر الذى يعيشون فيه . وما ذاك الا لبعد الصلة بينهم وبين دراسة الاحوال الاجتماعية التى يجتازها المسلمون لمعرفة أوجه الاحكام الصالحة لحياتهم . وهذا الجهل الواضح هو الذى منعهم من الشعور بحاجة المسلمين فى تطور الحكم بتطور الحياة فيلجؤون الى تفهم روح الشريعة ومراميها المملوءة بكنوز الحياة والنجدة لمن يطلبها . على أنه لا ينكر اليوم وجود بعض من شيوخ العلم يدركون ما يلزم لحياتنا من تطور تحميه الشريعة ولا تأباه علينا غير أن هيبة الماضى الماثلة فى ذهنية أوساطهم قد جعلتهم يميلون عن الصراحة فى الحق مفضلين الانكماش كعامة رفقائهم من الشيوخ تحقيقا لعيش هادىء يختارونه من هذا النحو . ولم يشذ عن

هؤلاء في تاريخ الاسلام الا افذاذ كان للحق صولة على قلوبهم فزلزل منها روح المدار السائدة في أوساطهم وهم على اختلاف مراتبهم في القرب من الحق والصراحة فيه لا يمثلون في العالم الاسلام التائه المغرور الا أصواتا ضائعة كما تضيع أصوات التائهين في أعماق الصحراء . فكان مجموع هذه الاحوال الآتية من تاريخنا مصدرا هائلا لجمود الفقه والقضاء في الاسلام والقول بانتهاء أمد الاجتهاد فيهما وبذلك حكمنا على مواهبنا بالعقم وانفسنا بالموت وعلى من يحاول منا علاج هذه الحالة أنه مفسد يحاول حرب الاسلام ونقض الشريعة وبذلك مكنا أعداء الاسلام من الطعن فيه ، وابناءه المحبين للحياة من الخروج عليه وهو حالنا اليوم . فيا لنا من امة هلكت بجهلها وجمود علمائها وخداع أشرارها . ويا لله للاسلام الغريب المجهول بين المسلمين .. ! » (17) .

ـ ان الحديث يطول عن هذه العقبات والعراقيل التي وجدها الحداد في حياته حين أراد مواجهة الحقيقة الناصعة والواقع المر المؤلم ، حين أراد الاصلاح وتقويض ما لا يفيد ، والاغيار لا ينصتون بل يرمون بأقذع الشتائم وفاسد القول المنكر وهو في كل ذلك صامد مؤمن ، يعطي من ذاته في سبيل ايمانه وتفكيره ألم يقل في احدى خواطره « التفكير بدء الحياة ولكننا نضع في وجهه سلاح التكفير لنثير عليه الشعب فمن أين نبدأ الحياة التي نطلبها للشعب » (18) .

وقوله :

« كل الانظمة التي عرفها الانسان مهما كانت قوية قد هاجمها الفساد عاجلا أو آجلا،والانسان الأناني أسرع من طبيعة الحياة عامة الى بذر هذا الفساد في الانظمة الصالحة حتى يصير نفاقا اجتماعيا يجري عليه عرف الناس في ظاهر امورهم وحتى الشرائع السماوية التي تنتسب لله لم تسلم من هذا الشر المبيد لان حماتها من الشيوخ والقسوس والاحبار والكهنة هم الذين يسبقون غيرهم الى ذلك الزاما للناس بآثامهم الشخصية المحتجبة بسلطانهم

---

17 ـ « امرأتنا .. » ص 72 ـ 73 ـ الطبعة الاولى .

18 ـ انظر : خواطر الطاهر الحداد ـ خاطرة رقم 57 ـ تقديم وتحقيق كاتب المقال ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس ليبيا ـ 1395 هـ 1975 .

الديني عليهم ، وكم يشقى الناس من الناس ويحسبـون شقوتهم على الاقدار الالهية فيسلمون انفسهم اليها فى غيبوبة من الالم والحسرة » (19) .

أما حقيقة الاسلام عنده فهـي :

« ثورة علـى القديم ، ونداء للتحـرر من تقليد الآباء والاجداد ، وبعث لحيـاة التجديد والتوليد ، ولكن المسلمين هم الذين حولوه بتقديس اسلافهم واحتقار أنفسهم الى سد يفصل بينهم وبين الحياة . » (20)

وتأمل معى فى نظرته الى العلم قولـه :

« العلم قوة تفتح مغالق الغيب لتذلل الطبيعة للانسان فى حسها ومعناها فينتج رزقـه وهناءه بسعى ظافـر . ولكن العاجزيـن يحفظون دروسهم مـن الكتب ليعيشوا بين حيطان الدواوين عالة على المنتجين ويحبون ان يسودوا عليهم بذلك ، وهذا منتهى الشر الذى يصيب الشعوب المتأخرة » « 21 » .

وقوله فى خاطرة أخـرى :

لقد الهبنا مشاعرنا الدينية والوطنية حتى لتكاد تحترق فى اللهيب المتفجر من شعورنا بالخيبة دون ان نضع من صروح آمالنا قدر حبة فـى بناء حياتنـا السائخة فى الهاوية كما تسوخ الجبال فى بطن الارض . والسبب فى ذلك أننا لم نسمح حتى الآن لعقولنا أن تنطلق من سجنها لتفكر فى رسم طريق الخلاص والفوز ، فنحن أحباب عواطفنا وأعداء عقولنا ، نحب الجنـة ونبغض الطرق المؤدية اليها ، ولا شىء يضعنـا فى هذه الخيبـة غير الاغلال الخفيـة التـى يغلنا بها ماضينا المحبوب بما فى المحبة من جهل وتقديس » (22) .

واذا ما احتدت المعركة وعظم لهيبها ، واذا ما اوصد القوم الابواب فى وجه الحداد وكفروه يجيـب عن ذلك بترك جوابهم مباشـرة لانهم لا يريـدون ان يسمعوا له ولكنه يناجي الله بصلاة تعبر عن ايمانه القوى بالله وشكواه اليه وحـده الاحـد :

---

19 ـ المصدر السابق ـ خاطرة رقم ـ 62 .

20 ـ المصدر السابق ـ خاطرة رقم 3 .

21 ـ المصدر السابق ـ خاطرة رقم ـ 25 .

22 ـ المصدر السابق ـ خاطرة رقم ـ 42 .

أيـا غـائبـا عـن ناظـرى بعيـدا
لأنـت بقلبـى قـد سكنـت وحيـدا

ومحبة الله عنده هى السعادة المطلقـة :

أناجـى بـك الاشـواق وهـى تهـزنـى
اليـك فـأحيـا فـى هـواك سعيـدا

والعذاب فى الله سلوان ونعيم دائم مقيـم :

وما هذه الغـارات (يقصد الحملة) تغزو جوانبـى
سـوى شعـل تـذكـى اللهيـب شديـدا

فأنـت سنـى روحـى وأنـت يقينهـا
وخمـرة انسـى اذ بقيـت وحيـدا

عـذابـى وبـؤسـى فـى سبيلـك جنـة
أغنـى بهـا شعـرى اليـك نشيـدا

وهو يرى اللـه فى آثار قوته وجلال صنعـه وبديع حكمه وسحر ملكوتـه وفى تجديد الحياة على قدمهـا :

سـألـت ورود الـروض عـنـك فـأطـرقـت
وغـابـات سـرو فـانحنيـن سجـودا
وشـم جبـال بالسـمـاء تـعـلـقـت
وعقـد نجـوم بـات فيهـا سهيـدا

وعمـق بحـار ضـج فيـك ضجيجهـا
كمـا رن سجـع الطيـر فيـك نضيـدا

رأى منـك هـذا الكـون صبـوة نفسـه
فـأغرق فـى الذكـرى وهـام شريـدا

جمال وسحر في جلال وروعة
تصوغ من الكون القديم جديدا

كما يرى الله فى بهجة النفس وحين تدلهم الامور ويراه أيضا فى جمال القمر الذى تتلألأ أشعته على البحر كانه نضار سائل على الفضة البيضاء، كقلبه الذى ذاب مستشهدا فى الله :

أراك مع الفجر الضحوك يسرني
كما كنت لي في الداجيات عميدا
أراك مع البحر الغضوب مزمجرا
كما كنت فى الارواح أصلب عودا
أراك بقلب البحر يعطى جواهرا
كما كنت فى الأرواح أوسع جودا
أراك مع البدر المضاحك أبحرا
يقبلها وجدا ويكرم جيدا
على الفضة البيضاء سال نضاره
يرف كقلب ذاب فيك شهيدا (23)

والحداد هنا يذكر استشهاده صراحة فهو يحس بأنه شهيد فى قومه ويحتسب شهادته لله ويقبلها شاكرا خالق الاكوان على منته العظيمة ، أو لم يتمتع فى هذه الحياة بالفجر الضحوك الذى أدخل عليه المسرة والحبور ورأى من خلاله ابداع صنع الله ، أو لم يثبت الله قلبه يوم المحنة فلم يضعف أمام مناوئيه ، أو لم يخلق الله فى البحر الغضب وجعل فى أرواح الناس ما هو أعظم من غضب البحر ـ أو لم يكن البحر يعطى جواهره كبعض من كرم الله ، وما كانت الارواح فيما من الله عليها من المواهب والاخلاق دون البحر فيما تلقى من كرم الله . وأى منة أعظم من المواهب والأخلاق ؟

---

23 ـ الابيات من قصيد أملى بتاريخ 26 سبتمبر 1932 كما هو بخط الحداد وامضائه ـ وقد نشر القصيد بجريدة العمل فى 6 جانفى 1959 .

وتلك كانت لذائذ الحياة عند الحداد ، جمال الكون الدال على الله وقوة الخلق والابداع ، واكبر منة عليه من العزيز الحكيم سمو روحه ومواهبه ونباهتـه ، وهو ما يرتضى الشهادة من اجله ، الشهادة فى الله .

ألم تكن المعركة معركة ايمان ومجابهة التحديات الواهية بالحجة والدليل والاستقراء والاستنتاج .

ألم تكن مواقفه شاهدة على ذلك من حين واجه الخصوم والناكرين للفضل الجاحدين القانعيـن الجامدين الباحثين عن المصالح والشهـوات العابـرة ؛ وانظر فى قوله لهم :

« قد خلقنـا فى الاسلام سواء ... التهويل لا ينفعكم والتظاهر بـالحماس أمام عموم الامة لا يروج طويلا حتى ينكشـف واذا كنت قد اثبت فى الكتـاب (كتاب امرأتنا) من آراء ما هو مستجد وغير معروف من قبل ، فالاسلام كنـز لا يفنى وبحر لا يحيط به الانسان ولا القرون ولا الاحقاب وانما يغترف الناس منه فى كل عصر ما يفى بحاجتهم ويروى غلتهـم ، وهذا سر خلـوده ومصدر فيضه العميم .» (24)

ألم يقل قولته ويقف الموقف النهائى الصريح :

« يكفيني أخيرا لانني مؤمن بصدق عقيدتى فى الاسلام وانه دين الانسانية الخالد ، لا علـى نحو ما يفهمـه او يتظاهر به هؤلاء القوم ولكن طبق حاجـة العصر ومصلحة الامة ، واذا كان ضميرى مرتاحـا لا اثر فيه للتكلف ، فانـى سأظل مرتاحا وصابرا فى كل ما ينتابنى من اضطهاد ينال امثالى .. » (25) .

ولوصل الماضى بالحاضـر لنا ان نشير فـى الآخر الـى موقف الدكتـور مصطفى أحمد الزرقاء وهـو من الداعين الاول لتكوين مجمع للفقـه الاسلامـى

---

24 ــ من مقال للحداد بعنوان : يكتمون حجتـى ويعلنون كيدهـم ــ جريدة الزمان ــ 3 نوفمبر 1930 .

25 ــ من مقال للحداد بعنوان : الحجـة طريـق الحق جريدة الزمـان ــ 19 اكتوبر 1930 .

كي يكون الاجتهاد في صورة اجتهاد جماعي ويحدد اطار هذا المجمع بقولـه : نريد بمجمع الفقه الاسلامي ان تكون للدراسات والبحوث الفقهية ، وتقنين الفقه والتقنين منه ، والاجتهاد المطلق في وجـه الحوادث والقضايا الاعتقادية والاجتماعية والاقتصاديـة ، مؤسســة علميـة تتألف من كبار فقهـاء العـالم الاسلامـي الراسخين ذوي البصيرة الزمنيـة ، على طريقة المجامع اللغويـة اليوم ، للنهوض بهذه المهمات العلمية الاسلامية الواجبة الجسيمة ، ولتقريـر الحلول والاحكام الفقهية الشرعية فيما يعرض من مشكلات العصر للمجتمـع الاسلامي في هذه الميادين وبعد ان أورد أمثلة من هذه المشكـلات العصـرية يشير الى ان الدائرة القانونية في جامعة الدول العربية قـد ألفت لجنـة من الخبراء القانونيين والشرعيين الفقهاء من البلاد العربيـة لوضع هذا المشروع العظيم للقانون المدني الموحد المنشود ، وباشرت اللجنة عملها ثم استأنفته أخيرا بعد انتقـال الجامعـة العربيـة الى تونس . كما الفت لجنة عامة تمثل الدول الاعضاء، في الجامعـة لترفع اليهـا اعمال لجنة الخبراء تباعا في دورات منتظمة لكل من اللجنتين الخاصة والعامة » (26) .

اذن ما كان هذا السعي وهذه البادرة الا من اجل خدمة الفقه الاسلامي كي يكون موفيـا بالحاجات الزمنية المستجدة الجديدة ـ وما اكثرها ـ بالنسبـة للانســان المسلم العربي وبذلك نحقـق الذات والجوهر ونرجع الـى المنبع الثري الاوحد أعني الاسلام في أسمـى معانيه واقـوم تعـاليمه العظيمـة الخالدة ، وبذلك يغيـب عنـا شبح التـردد والتناقض والسيـر في طريـق السلبيات بلا غايـة أو هدف . وهذا مـا خشي منه الحداد فنـاضل من أجل الاسلام واستشهد في سبيلـــه .

ولنا ان نلاحظ بـأن أفكار هذا المصلـح الرائد قد وافقت اتجـاه الرئيس الحبيب بورقيبة ومنهجه في الاصلاح الاجتماعي وما الاحياء المتواصل لذكرى الحداد الا اعتراف بجميل الصنيع وحميد الفعل والعمل ، وما صـدور مجلـة الاحوال الشخصية الا عربون وفاء ووفاق واتفاق فـي الراي والمنهج وما زال باعثيا جادا لفتح الطريق وانارة السبيل وفي موقفه خير موعظة وعبرة حيـن

---

26 ـ الدكتور مصطفى أحمد الزرقاء ـ مقال بعنـوان : حتى يخرج الفقـه من عزلتـه عـن الحيـاة ـ مجلـة العربـي ـ نوفمبـر 1980 العـــدد 264 ص 31 ـ 38 .

وجه بيانه للعالم الاسلامى عبر أمواج الاثير بتاريخ 22 ماى 1961 بمناسبة عيد الاضحى وقد ركز آراءه على استخلاص العبر من التاريخ والتفكير فيما يفيد

« .. اننا لنتطلع اليوم فى صلواتنا ومناسكنا راجين من الله ان يبعث فى العالم الاسلامى هبة يعود بها الى محاسبة نفسه فيسألها عن مدى تعلقها بحقيقة الدين وتفهمها لمعانيه القدسية الخالدة ، ولا مندوحة له من ان يتساءل وراء ذلك عن العزة التى كتبها الله له والنعمة التى شمله بها . فلو ان القلوب أشربت هذه المعانى والافئدة استنارت بأنوار تلك المحاسبة لما مزق العالم الاسلامى كل ممزق ولما انتشر الاستعمار فى أطرافه بعد ان كتب الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ... فآية : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » لا بد للمسلمين ان يستمدوا منها ما توحيه من تعاليم وتشير اليه من أحكام ليظلوا أعزاء مكرمين فان النعمة التى أفرغها الله على عباده المتقين من مكانة وسيادة وعزة ومجد ونصر وسلطان لا بقاء لها الا بفهم حقائق الدين الاسلامى والتضلع فى اسرار دعوته وفى هذا ما يهيب بنا جميعا الى حسن تصور غايات النهضة الاسلامية والعمل المتواصل فى سبيل تحقيقها .. » .

أخيرا فليبق الحداد فى مهجنا وارواحنا مثالا للفكر النير والتضحية فى سبيل مبادىء الاسلام الخالدة ، وقد كرس حياته دفاعا عنها ودفاعا عن الوطن السليب والشعب المضام ودفاعا عن الحق فى كل مكان وزمان والله أكبر كبيرا ولا حول ولا قوة الا به » .

« قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى » . صدق الله العظيم . (سورة طه . الآية 135) .

محمد أنور بوسنينه

فى الأعداد القادمة

نتشر دراسة للأستاذ : محمد العياشي بعنوان :

رسالة الدوبيت

انا وامتي ..

في الساعة - التنفيذ!

شعر: أبي وجدان

● في الساعة - الرعب يا انا :

أختفي .؟ لا أختفي .!
أختفي .. أين ؟ ولو في معطفي .!
ظلمة الليل ، ورعب الموقف ..
صيّراني مثل تمثال سخيف راكن في متحف .
واقف لا أتمنى .. أتمنى .. ليتني طيف خفي .
وقع أقدام ورائي أم أمامي ؟
يتمشى وقعها كالبرق رعداً في عظامي ..
من ترى يأمرني .. يأمر ساقي : قف .! قفي .!؟
لم أقف . لكن ساقي وقفت وا أسفي !
لم أكن أحسب أني أسد لكن لي ساق جبان !
ما الذي علمها هذا الهوان !؟
كم بها سجلت أهدافا إلى مرمى الزمان !!
والزمان الليلة .. الليلة يرميني لأهداف المصيبه ..
واحد يهتف بي :ـ يا ... ما الذي تحمله هذي الحقيبه ؟!
والهتاف امتد من أذني إلى قلبي اندلاعات عصيبه ..
لم أجبه . إنما كانت شفاهي من جواب الخوف قد كانت قريبه !
ـ ما الذي تحمله هذي الحقيبه ؟

http://Archivebeta.Sakhrit.com

– إنها جدّ مليئهْ ..
– خذْهُ منها .. إنّها منه بريئهْ !

عندها أحسستُ أنّ الموتَ دوما واحدُ !
ثم أمارسْ قبلُ «كَاتِش» أوْ «جِدُو» !
إنما الخائفُ قدْ يستأسدُ ..
فتجدْوَبْتُ .. تكتّشْتُ ..
وتقدّمتُ .. تمدّدتُ .. تكمّشْتُ ..
أنا لم أهجُمْ ، ولكنْ هجمتْ ساقي عليْهْ ..
لستُ أدري كيفَ ساقي انفتلتْ مني إليْهْ !؟
مثل كمّاشِ سفينٍ في رمالِ البحرِ ساقي انغرستْ في أنثييْهْ
فعوى الذئب وولّى خطوتيْنْ ..
ثُمّ صلّى رَكْعتيْنْ ..
ركعةٌ أولى بها تحَّى وزكّى ثم سلّمْ ..
ركعةٌ ثانيةٌ لم ينهها حتى تكلّمْ
صارخًا حينًا .. وحينًا يتألّمْ :
–كاد أن يقتلني ... هيا رفيقيَّ ... عليه ..
انْتقما من دينهِ .. مِنْ دينِ حتّى أبَويْهِ ..

* * *

هجم الثالثُ والثاني على جبهةِ نَصْري من كِلا الواجهتيْنْ
لم أشاهدْ في ظلام الليل إلا شَبَحَيْنْ ..
لم أجِدْ لي رُكبتيْنْ
عندها اقسمتُ :– أنْ أتْرُكَ خلفي ركبتيَّا
أطلقَ الإقْدامُ للقُدّامِ منّي قدَمَيَّا

— فالهروب الآن هيا .. لا علَيَّا ..
لا علَيَّا ..
لم أكنْ يومًا «كُبُوي» لا وَلاَ كنتُ «كُبَيَّا» !
وتمادى الثالثُ الدُّبُّ ورائي راكضًا مثلَ كتيبَهْ
فاذا بي مدْفَعٌ .. يقذِفُ منّي بالحقيبَهْ ..
لَطَمَتْ وجْهَهُ .. لكنْ سقطتْ دون انفجارْ ..
ـمالها لم تنفَجِرْ هذي الحقيبهْ !؟
ليتَني كنتُ أنا نَفْسِي القَذِيفَهْ ..
مدفعٌ كنتُ .. وكانتْ قَذْفَتِي جِدّ ضَعيفَهْ .!
لم تكنْ إلاّ حقيبَهْ ..
هَرَبَت منّي تُرى كيفَ تؤوب ؟!
حاملا كنت لها ، أصبحتُ محْمُولاً على نَعْشِ الهروبْ ..
عدلوا عني إليْهَا
جَثَمُوا فوقَ يدَيْهَا ..
لم أكنْ أعْلَمُ أني ...
أنّ ما أحملُهُ أعظَمُ مني
فتحوها مثلما ينفتحُ البابُ على عَرْشِ التّمنـي ..
فتحُوها .. فاذا أحلامُهم قَصرٌ تَهَدّمْ
وإذا الخيبةُ فيها تتألّمْ
لم يكنْ حاملُها الاّ معلّمْ
لم تكن حُبلى الحقيبَهْ ،
بصكوك .. بمعاليم الضريبَهْ ،
إنما حبلى بأوراق الكتابَهْ

لم يكن ذيّلها البنكُ بامضاء الرقابه
انما وقّعها الحبُ بإمضاء الكآبه !

★ ★ ★

● **فى الساعة ـ الدرس يا أمتى :**

حيثُ أخفيتُ لهاثي تحتَ حرّاسِ الغروبْ ..
وتكدّستُ على نفْسي ، أراني مقْلتيّ قطّ بأعماق اللّغوبْ ..
حيثُ لم أهرب ، ولكنْ قدمي غاصت سريعا في الهروبْ
حيثُ لا تفصلُني إلاّ خُطى ، قدْ أضْرموا ثلجَ الحوَارْ ..
واستحال الثلجُ ناراً .. وَعلَتْ نارُ الشجارْ ..
قال هذا :
ـ لم أجدْ منهُ ملاذاً ..
دكّ أحْشائي ولا ذا
دكّني حتّى تراءتْ لي على الأرضِ النجومْ !
لم أكنْ أحسبُ أنّي ساقطٌ سوفَ أقُومْ ..
إنّه أمهرُ مَنْ هاجمتُ في فنّ الهجومْ ..
قال آخرْ ..
وهو ساخرْ ..
ضاحكا ، فاتّسعتْ منه المناخرْ :
ـ دَعْكَ مِنْ هذا ! أيُجدي أنْ تُفاخرْ !؟
لا تقلْ لي : ـ إنه أمهر منْ هاجمتُ في فنّ الصّراعْ !
إنّ هذا الوصفَ أوْلَى بالشّجاعْ ..
لم يكنْ في موقف غيرِ الدفاعْ ..
إنّما سرّ انتصارُ الظّلم في كلّ صِراعْ ....

أن يقــومْ ...

هُوَ قبلَ الحقّ دومًا بالهجومْ .!

***

قلتُ والثورةُ والثأرُ بأعماقي اندلاعاتُ لُغُومْ :

سأعيدُ الدرسَ هذا لبَنِي أمِّي ، على قومي أقُومْ ..

سأقــومْ

قبل خصمي بالهجومْ

وتحفزتُ طويلا .. وانتهى ليلُ التحفُّزْ ..

كدتُ أقفزْ .

كدتُ أنْ أقفِزَ لكنْ ساعةَ الصفرِ الرهيبهْ

قفزَتْ قبْلي الكتيبهْ

والذي يقفزُ منّا الأولَ اليومَ له تستسلم الدنيا حقيبهْ .:

● **في الساعة ـ التنفيذ أنا وأنت :**

تقفُ الدنيا هنا خلفَ السقيفهْ

مثلَ نخّاسٍ علَى بابِ الخليفَهْ ..

جاءَ يرْجُو أنْ يبيعَهْ ..

أمَّةً قدْ سُرقَتْ من أمِّها وهي رضيعَهْ !

ثمّ لمّا اكتملتْ طعْمًا وشَمّا

باعَها سمسارُها كيفًا وكمّا

بعدمَا هَمّ بِهَا همًّا ، وهمّا

ولقَدْ كانَ ابنَ عمٍّ .. أو فَقُلْ : قد كان عمّا !

ثُمّ لمّا ...

وَلدتْ طفلاً يُسَمّى : «ثائرًا» قيلَ :- شجاع

اختَفَى البائع في كلّ البقاعْ .!

والتي بالأمسِ بيعَتْ كالمتَاعْ ..
رَفضَتْ أنْ تُشْتَرَى .. ثُمّ تُبَاعْ .!
متْعةً يلهو بها بعضُ الرّعاعْ ..
هربتْ منْ ذلِّها ..
هربتْ مِنْ أهلِها ..
هربتْ مِنْ ظلِّها ..
بعضُها فرّتْ بهِ منْ كُلِّها !
طفلُها تبْكيهِ دومًا بحرارهْ !
وهو يبكيها على بابِ المغاره ،
شوقُه للأُمّ ما دامَ .. فمَنْ يُطفِىءُ ناره ؟
ربّما كانَ غدًا نِعمَ الشراره !
بعدَما ملّ انتظاره ..
لم يَعُدْ ينْتَظِرِ الآن الإشاره .
فلْيُسافِرْ .. مَن تُراهُ يَنْتَظِرْ ؟
فلماذا لم يسافرْ ، كيفما كان السفَرْ !؟
تاركا خلفه مَنْ كان يُمَنِّيه على نَفَسِ الوتَرْ ؟
تاركا حتّى الحقيبَه
داخلا في الساعةِ — القفزِ الرهيبهْ ..
فلماذا لم تُسافرْ كيفما كان السفرْ ؟!
من يصدّقك ، إذا قلتَ : — قَدَرْ !؟
ذاك عذْرٌ باردٌ في فَصْلِ قَرّ ..
لا تَقُلْ لي : — سَفَرِي صارَ منامًا مَستحيلاً !
سَفَرِي كان ، وما زال كلاما : قالَ .. قيلا !

لم تُسافِرْ يا أخِي عشرين عاما وقايلاً !
لم يَعُدْ للفيلِ عامٌ ، بعدما قد عوّمُوا في الكأسِ فيلاً !
لا تَقُلْ : – قالوا . وقلْ لي : – فعلوا...
فأنا كذّبتُ سَمْعِي ، فألُو .. ليْسَتْ ألُو..!
كذّبُوا حتّى ولَوْ أنّي أرى اللهَ أمامِي .
كذبتْ حتّى حَذَامِ ..
لم يعدْ يُجْدِي كلامٌ .. فعلى القول سلامي !
فأنا بالقَوْلِ لمْ أقْتُلْ ذبَابَهْ ..
إنّما للقَوْلِ بابٌ منهُ أطردتُ الكآبَهْ .
منه بالحبِّ أنا شجّرْتُ غابَهْ ..
شجَرُ الحبِ به تخْضَرُّ أوراقُ الكابَةْ .

● في الساعة – الاله يا أفلطون :

– مَن على البابِ ؟ ألا انْظُرْ يا خُوَيْرِسْ !
– فارسٌ ، جدَّ هُمَامٍ متحمّسْ .. !
– دعْه يدْخُلْ .. وليَضَعْ عنْهُ المُسَدّسْ .. !
– دَعْكَ مِنْ هَذَا الجُنُونْ !
كلّ شيءٍ قَدْ يَهُونْ ..
إنّما وضْعُ سِلاَحِي لَنْ يَكونْ !
ليسَ حولي ، دولةٌ فاضلةٌ يا (أفْلَطونْ) !

* * *

أفما قيلَ قديمًا : – أوّلُ الحربِ كلامْ !؟
وأنا مِمَّنْ يَرَى الحربَ مخاضًا للسلامْ .

تلدُ الحربُ الشّعوبْ ..
كلّ شعبٍ ولدتْه الحربُ ، هل يرفضُ شيئًا مثما يرفضُ أقدام الهروبْ ؟
ومعدات لتدمير القضايا من مجال «السوفَ ياتي» !؟
وسموماً أخذتْ طعمَ الهدايا لأميرِ النّزَوات !؟
بنت أوربّا أتتْ من أمريكَه
بطرودٍ من ثيابِ الرّبَفيكه
هل كستْنا ؟ أم تُرى تكسو بنا نحنُ عرَاهَا ؟
فعلى صَدْرِ صدارِي شفةٌ تَلْثُمُ فَاهَا ..
وجيُوشًا لا نرَاهَا ..
لورأيْنَاهَا
لقالتْ:ـ نَحْنُ أصبحنا على الأرضِ الإلَهْ !
والذي يَعْبُدُنا طَهَ بنُ طَاهْ ..

* * *

لا تلمنِي عندما تسمعُ مني ها .. هَهَاهْ !!
ضَحكَةٌ أغرَقتْ في ثورتِها منّي الشّفَاهْ ..
فأنا بالضّحْكِ لَمْ أقتُلُ ذُبَابَهْ
إنما للضّحْكِ بابٌ منْهُ أطردت الكآبَهْ .
منْهُ بالحبّ أنا شجّرْتُ غابهْ ..
شجرُ الحبِّ به تخْضرُّ أوراقُ الكتابهْ ..

وهران : 17 ـ 12 ـ 75

«المنستير» في الأحاديث النبوية الشريفة

بقلم : نور الدين صمود

جاء في كتاب «الطبقات» ، قال أبو العرب : وحدثني فرات بن محمد قال : حدثني خلف بن محمد أبو محمد القابسي قال : حدثنا البهلول بن راشد قال : قال : حدثنا عباد بن كثير عن الليث بن أبي سليم من مجاهد عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله (ص) : « **بساحل قمونية باب من أبواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله ، ومن خرج منه فبعفو الله** » .

وقد علق محققا الكتاب على كلمة « قمونية » بما يلي : اتفق البكري واليعقوبي والتيجاني على ان قمونية قطر فسيح كثير العمران والزروع ، ويذكره الادريسي وابن حوقل باسم « قمودة » ووصفهما له يتفق مع وصف البكري لقمونية ويذكر فيه الجميع مدنا واحدة مما يدل على انه اقليم واحد فيجعلون حده الجنوبي اقليم « قسطيلية » وحده الشمالي « سوسة » ويذهب التيجاني الى ان هذا الاقليم يصل الى البحر لانه يذكر ساحل قمونية وشاطئها . فقمونية كما حددها الجغرافيون القدماء — هي قلب افريقية البيزنطية وكانت غاصة بالحصون والمزارع والمدائن والطرق وما اليها من معالم العمران .

كما علق المحققان على كلمة « المنستير » بما يلي : « مدينة بساحل **تونس اشتهرت كرباط بناه هرثمة بن اعين سنة (180 هـ) لعبت دورا خطيرا في تأمين افريقية من هجمات الروم** » .

أما نصيب هذا الحديث من الصحة فقد علق عليه المحققان بما يلي : « في الرياض I — 4 : « **فيرحمه الله ، فيعفو الله** » ونصنا اسلم ، وورد الحديث في البيان المغرب I — I » .

أى أن هذا الحديث ورد فـي رياض النفوس للمالكي وفـي البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذارى بتصحيف طفيف وقعت الاشارة اليه .

كما روى ابو العرب الحديث التالى ، قال : وحدثنى فـرات بن محمد قال : حدثنا عبد الله ابن أبى حسان اليحصبى عن أبيه وعن سفيان بن عيينة عـن عبد الله بن دينار عن انس بن مالك قال : قال رسول الله (ص) : « **مـن رابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت له الجنة** » قال أنس : « **بخ بخ يا رسول الله** » !! قال : **نعم يا انس ، وله فى هذه الثلاثـة الايام كاجـر النبيين والصديقيـن والشهداء والصالحين** » .

وسفيان بن عيينة بن ميمون الكوفى المكى ولد سنة 107 وتوفـى سنة 198 هـ . من تابعى التابعين فقيـه محدث ، كان حسن الحديـث ،، واتفقوا علـى امامته وعظم مرتبته وقال ابن وهب : ما رأيت أعلم بكتاب الله من ابن عيينة. وقيل : ان أحاديثه بلغت سبعـة آلاف حديثـا ،، كما ذكر **محققا الطبقات فى** تعليقهمـــا .

وأما عبد الله بن دينار فهو فقيه محدث أحد الثقات وتوفى سنـة 127 هـ .

وقـد حرصت على نقل هذه التعليقات لأهميتهـا فهى تدل على قيمة رواة تلك الاحاديث وقدمهم وهى تلقى كثيرا من الاضواء عن النص .

وقد روى الحديث بعدة روايات واسانيد واختلاف فـي النص طفيـف لا يكاد يغير شيئا من المعنى ، ونورد النصوص التالية عن « المنستير » دون ان نهتم بالاسانيد والعنعنات فليعد اليها من يهمه الامر فى المراجع التى ننقل عنهـــا .

قال رسول الله (ص) : « **المنستير بـاب من أبواب الجنة يقال له الانف ، ودونه قنطرة من قناطر الأولين** » .

ويعلـق المحققان علـى كلمـة الانـف بقولهمـا : يظهـر أنه جـزيـرة (ENENNF) المحددة فـي الخرائط جنوب المنستير ، نقلا عن ابن أبـي شنب ، ترجمة الطبقات 14 حاشيـة 1 .

،، وعن مطرف بن عبد الله قال : « **المنستير باب من أبواب الجنة فبينما هم في الصلاة اذ سمعوا هدة : (صوت شديد) فبعثوا رسولا ليأتيهم بالخبر ، فما لبثوا ان انصرفوا فقالوا له : « ما صرفك ؟ » قال : « سيرت الجبال » . فيخرون سجدا لله عز وجل فيقول الله تبارك وتعالى : يا أهل المنستير ، لولا اني كتبت الموت على خلقي لادخلتكم الجنة بأوساخ ثيابكم » فيخرج عليهم ريح صفراء ما بين المشرق والقبلة فتخرج أرواحهم فما ينزع عنهم اخلاقهم – أي ثيابهم الخلقة البالية – الا ازواجهم وخدمهم من الحور العين » .**

وقد ورد هذا الحديث في كتاب « نزهة الانظار » لمقديش ج 1 ص 197 كما أشار الى ذلك محققا طبقات أبي العرب .

وقال فرات بن محمد : وحدثني أبو زكرياء الحراز يحيى بن سليمان الحفري قال : « سمعت البهلول بن راشد يقول لوزيره هرثمة بن أعين حين استشاره في بنيان المنستير قال : فعدد له أن هرثمة بنى بأرمينية ، ومن غير موضع ، فقال له البهلول بن راشد : ما ذكرت شيئا الا والمنستير أفضل منه ، ولك أنه بلغني عن النبي (ص) أنه من أبواب الجنة » .

وأخيرا نورد هذا الخبر من كتاب الحلل السندسية في ضبط اسم المنستير

« ومن الاماكن التي وقع الثناء من رسول الله (ص) في شأنها المنستير قال ابن الشباط : المنستير بضم الميم وضم النون (كذا) وسكون السين المهملة وكسر التاء المثناة فوق وبعدها ياء اخت الواو وآخره راء مهملة) ج 1 ص 239 – 240 .

.وأنا أرجح ان يكون الاصل « وفتح النون » لان من عادة القدماء اذا ارادوا ضبط اسم بهذه الطريقة – اذا اجتمع الضم مثلا في حرفين متتاليين – ان يقولوا : (بضم الميم والنون) لا (بضم الميم وضم النون) فتكرار (ضم) يوحي بانه خطأ من الناسخ اصله « وفتح النون » وربما كانت تنطق بضم النون أيضا .

ملاحظـــات :

1) الذي لا شك فيه أن هذه الاحاديث المنسوبة الى النبي عليه السلام قد رويت في كتب قديمة توفي أصحاب بعضها منذ أكثر من ألف سنة .

2) ان بعض رواة هـذه الاحاديث من التابعين المحدثين الذين ماتوا فـى القرن الاول للهجرة وبعضهم توفى فى القرنين الثانى والثالث .

3) ان المحققين للكتابين المذكورين لم ينفوا صحة هذه الاحاديث .

4) ان النون فى المنستير كانت تنطق بالضم ان صحت روايـة السـراج عن ابن الشباط .

وأخيرا فان هذا الموضوع يحتاج الى تحقيق للتثبت من مدى صحة هـذه الاحاديث فان صحت فبهـا . وان لم تصح فلماذا وقع الاختيار على المنستير لتخصيصها بهذا الفضل فـى وضع أحاديث نبوية عنهـا وعن فضلها وفضل المرابطة فيها ،، دون غيرها ؟.

ان هـذا الموضوع ليحتاج الى أن ينظر فيه السادة القراء نظرة فاحصـة ويتأملوا ما جاء فيه من أخبـار وأحاديث فمن شاء أن يكتفى بما لخصتـه هنا فله ذلك ومن شـاء أن يعود الى الكتابين المشار اليهمـا للمزيد من الاطلاع فانه يحسن صنعـا .

وحبذا لو أظفر بالأجـوبة عن تساؤلاتى من ذوى الاختصاص فى ميـدانى : التاريخ والاحاديث النبويـة .

نـور الدين صمود

بلاغ عـلنى إلى «أبو الأكتاف» *..

شعر: حميده الصوبلى

الجزء الاول:

سنوات القحط اجيبى
ماذا يجرى
فى النصف الوثنى من القلب
الطافح احقادا ؟
ماذا يجرى ؟
فعيون الصبية تفرق
فى الحلم الاخضر
من انت .. ؟
يا من تحمل لافتة الحب
وتنشر فى الارجاء بذور الموت ..
أبالصلوات تهــدد ..
بالدعوات توزع احقادا ؟
من انت .. ؟
ويشهق قلب ممتلىء ياسا
ورمادا
فافا ... فافا .. لا ادرى
من انت ... ؟
ويسفح فى الذهن نزيف
قرون ضائعة
حبلى
بالنقمة .. والغدر
لوثت تراب الارض ..
ولوثت دموع الايتام
واوجاع الثكلى
وازحت عمامتك القبلية ..
لاحت وشمتك المحفوفة
بالقتل
انت ابو الاكتاف اذن !؟
قيل ابو الاكتاف توارى ..
قلت متى ... ؟
هو كالجرذ خنادق صهيون تغذيه
«سابور» .. وما زالت آثار «الصدمة»
تؤذيه
هذا انت ابو الاكتاف اذن ...
تولد ثانية .. ثالثة .. الفا
هذى المرة انت بلا اكتاف
جئت
تجدف فــى الوحــل

* * *

(*) أبو الاكتـاف طاغية فارسى خلع اكتاف خمسين ألف أسير عربى حتى سمى بهذا الاسم بدل اسمه الحقيقى : سابور الثانى .

جيف هذى تتعطر ..
كيف ؟..
وقد فاحت رائحة الموت ..
انتشرت انفاس الرعب
وازمان الغدر
مجوس انتم .. لا اكثر
* * *
واعدنا اللــون العــربى لمــاء الشط المسروق
للارض المسروقة نهدى اللون العربى
فهل تعترضون ؟
عاهدنا الدنيا ان نسترجع
رمل الصحراء واشجار الزيتون
وانفاس النخل
جئناك قوافل تطفح بالنار
وتهزأ بالموت ..
نعيد الماء لمجراه
فهل تعترضون ؟
لكن : من انتم حتى تعترضون ؟
قررنا ان نرجع للتاريخ هويته
سابور : .. بلغ صهيون قرار العرب
قررنا اعطاء الماء ملامحه
ابلغ صهيون قرار العرب الشرفاء
سابور ابو الاكتاف بكى
فقد الكتفين قبيل الدمع
وبعد الدمع ...
سيفقد مرآه
فهل تعترضون ؟

الجزء الثاني

لو انك اطعمت كلاب الحى شهورا
لاهتزت للصحبة ..
يا من لا تعترف
لو تذكر جئت طريدا
آواك النجف
لو تذكر كنت شريدا
آواك عراق العرب
ولا اسف
لكنك لا تعترف
هل قدر ان يبقى الحقد مزيتكم
هل قدر هذا القرف ؟
آواك عراق المجد
وهذا اليوم بدا الاسف
فالافعى اذ تنفث سما
اقرب شىء منها الهدف
ما كان لنا ـ يا هذا ـ ان نزهق
ارواحا باسم الله ونختلف
هل باسم الله تصادر انفاس الناس
وتغزو الارض ...
وتسجن امواه الشط
وتعتكف ؟
فتعالى الله على ما تصف
هل باسم الله تؤسر ارض العرب
وهذى الجزر العربية
من احقادك ترتجف
لا ادرى ماذا اصف
هل باسم الله يراق دم الاطفال
وماء السلم .. وانهار دموع المظلومين
وينمو الصلف
هذا والله ـ هو الصلف
هل باسم الله .. وتطعن فى امر الله

أيا خرف
لكنك تجهل ما أمر الله .. وتابى ما شاء الله .. وانك منكشف

* * *

قالوا : شرفاء ..
قلنا : ماذا يعنى عندكم الشرف ؟
هل زج الاطفال بقلب التنور
وتطويق العشق هو الشرف ؟
هل هتك الحرمات ونكث عهود الشرفاء هو الشرف ؟
يا بئس الشرف !
لو تدرى يا هذا ..
القت بك فوق رقاب الناس الصدف
ولدتك الجيفة اذ تنتن
ما أعجب ما تلد الجيف (1)

الجزء الثالث

مدن تبتلع السكين وتخفى ادمية تنزف منها فى صمت
مدن يسكن فى رئتيها الطاعون ..
وتقسم ان اصابتها فى الظفر الميت
مدن تحبل بالشك .. وبالكلمات الموصومة بالعار .. وبالكذب
مدن هذى .. اضحكنى منها بالامس
غراب حاول تقليد البومة ..
ينعق .. ينعق .. فانكسرت فى الجبهة شوكته
فيها آيات يحكمها ابليس تعيث فسادا فى الارض الحبلى
قد كانت آيات الله هنا تتلى
جاءت آيات تنتهك الآيات
آيات تكفر بالحب .. وبالوطن الحر .. وتعبد اوحال الذات
آيات هذى .. ام علب للافيون تمزقها العصبيه
مطروح .. وتدوسه اقدام الجند ..
جراحه تنزف .. والموت يزوره
يهذى .. وغروره يسخر منه مازال يتاجر بالوطنيه .
آيات هذى ؟؟!. لا .
أوعية للحقد .. وللقبليه
لو كان النور يبدد ظلمتهم ما نبتت فى الارض مآس
لو ذرة ايمان تسكنهم .. ما انتشر الرعب .. واطيار الدم ..
ولا صارت عفنا اجساد الناس
يا انتم .. من اين لكم تكفير الناس ..
« ولا اكراه فى الدين »

(1) اشارة الى انهيار نظام الشاه .

هل تصدير الفتنة من خلق الايمان ؟
«والفتنة ـ قال الله ـ أشد من القتل»
انبى هذا الآتى بالحقد عقيده ؟
كذب .. كذب .. والله مكيده
حين ارتجت فى الداخل اركان الجور
سعيتم ايذاء للجار وباسم الدين ؟
حين ارتبكت جدران بنائك .. رحت
تفتش عمن تلدغه كى تصرخ فى
الاحياء بان الملدوغ « عدو الدين »
وربك انزل : لا اكراه فى الدين
حين انتفضت احياؤك رعبا .. جئت
لابناء العرب تقتلهم .. وارقت
دموع التنين
تهذى تصرخ :
« انى الثائر ضد الظلم .. وباسم
الثورة اغزو الارض .. واعماق
الماء .. وافتك رغيف المسكين
الجزر العربية ملكى وخليج العرب
وبغداد لنا والباقى تغزوه شياطينى»
انهض من نومك فالصبح يفيض النور
على الدنيا لكنك من غير عيون
عراف انت
وقلبك مملوء بالجمر .. وبالطين
انى اخجل من نفسى حين اراك تغالطهم
باسم الدين

الجزء الرابع

إضمامة مقاتل عربي :
اطلق برصاصك كل عقال للنور..على
الشط .. وفوق الارض
وفى الافق ... الماء وقاوم ..
بالحب .. وبالبارود .. وبالصبر
علم اولاد الجيفة كيف الحب يعانق
بالنار .. وبالعطر
علمهم ان الحب يغازل طلق المدفع..
والمدفع كان يؤدى دور العاشق..
يعصف بالاوهام .. وبالشر
علمهم ان الايمان حلاوته اقوى من كل
مجوس الارض
ومن كل سلالات الغدر
علمهم بالعفة .. كيف الحب يقدم
ابناءه للموت
علمهم كيف تصير التربة قلبا ..
رئة .. روحا تحيا فى الجسد الحر
ابلغهم ان الفارس يبقى مشتعلا
حتى ينطفىء الحقد .. وتنهار عروش
الشر .

حميده الصولى
تونس

تونس في عصرها الاسلامي

بقلم : احمد الحفناوى
(مصر)

لما اختار « عبد الملك بن مروان » حسان بن النعمان قائدا على جيوش افريقية أمره أن يقيم مع عسكره ـ بادىء ذى بدء ـ فى مصر حتى ينتهى من مشكلة « ابن الزبير » فلما انتهى منها ، كتب اليه يطلب المسير الى افريقية وقال له : « انى قد أطلقت يدك فى أموال مصر فأعط من معك ومن ورد عليك، وأعط الناس واخرج الى بلاد افريقية على بركة الله وعونه (1) » ، فخرج «حسان» الى افريقية فى جيش هائل ، وانضم اليه « هلال بن ثروان اللواتى » ـ من افريقية ـ ومعه عدد آخر من المسلمين البربر .

كان «حسان» يهدف الى محاربة الروم فى «قرطاجنة» ، فلما وصل الى « القيروان » سأل أهل «افريقية» : من أعظم الملوك بها قدرا ؟ قالوا : صاحب « قرطاجنة » دار ملك افريقية .... فسار « حسان » حتى نزل فى «ترشيش» على شاطىء البحر . وهناك استطاع أن يدبر أمره فى احكام خطته لحصار «قرطاجنة» ونجح فى الحاق الهزيمة بالروم فيها .

ظل البيزنطيون يتحينون الفرصة ـ بعد هزيمتهم فى قرطاجنة وسقوطها فى أيدى المسلمين ـ لاسترداد هذه المدينة ، فادرك « حسان » أن هذه المدينة لو تركت هكذا فانها ستشكل خطرا على الفتح الاسلامى لافريقية ، ولهذا رأى من المصلحة لجيش المسلمين أن يهدمها فأمر بهدمها وتخريب عمرانها .

وفى سنة 78 هـ أعد الامبراطور « ليونتيوس » حملة بحرية بقيادة البطريق « يوحنا » ، أغارت على قرطاجنة ونهبتها وقتلت من بها من المسلمين !!.

---

(1) ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب : ص 34

في هذه الاثناء كان «حسان» قد انسحب بجيشه الى «برقة» منتظراً الامدادات التي وعده بها الخليفة « عبد الملك بن مروان » بعد انتصار الكاهنة ـ بجيشها ـ عليه وأسرها لثمانين من رجاله ، وقد استمر ـ في برقـة ـ منتظـراً هـذه الامدادات ثلاث سنوات (2) ، وذكر ابن عذارى : « أنه أقام بها ـ أى ببرقة ـ خمس سنين » (3) .

استطاع « حسان » بهذه الامدادات ـ التي كانت ضخمة ـ أن يلحق الهزيمة الساحقة « بالكاهنة » ويقتلها سنة 82 هـ ، واستمر في زحفه على « قرطاجنة » لتطهيرها من البيزنطيين مما اضطر هؤلاء الى الفرار بحرا ، واسترد «حسان» المدينة .

شعر « حسان » وهو في قرطاجنة ـ هذه المرة ـ أنـه مـن السهـل عـلى البيزنطيين أن يفاجئوه ـ دائما ـ بالهجوم عليها من البحر ، ولهذا رأى أن يقيم تجاهها مدينة عربية اسلامية تشرف على مدخلها فلم يجد مكانا مناسبا الا «ترشيش» تلك القرية القديمة التي كان قد نزلها هو وجيشه ودبر فيها خطته المحكمة لحصار « قرطاجنة » أول مرة ، وهي تبعد نحو 12 ميلا شرقي قرطاجنة، ويصلها بها طريق روماني .

ولما شرع في تأسيس مدينته ـ التي هي تونس ـ في هذا المكان ـ الذي هو ترشيش ـ ، اتصل بعبد الملك بن مروان مباشرة ، يطلب منه أن يزوده بجماعة من الاقباط ليستخدمهم في تأسيس دار لصناعة الاسطـول ، فكتب عبد الملك الى أخيه عبد العزيز يأمره أن يوجه الى «حسان» الف قبطى بأهله وولده وأن يحملهم من مصر ويحسن عـونهم حتى يصلوا الى « تـرشيش » ـ التي هي تونس ـ . وقد أقام « حسان » في هذه المدينة دارا للامارة وثكنات للجند المرابطة وحفر اليها البحر . كذلك فانه نجح في جعلها ميناء بحريا هاما، وقدر لهذه المدينة الصغيرة أن تصبح أعظم ثغور افريقيا بعد ذلك بثلاثين عاما على يدى « عبيد الله بن الحبحاب » فقد نمت واتسع عمرانها واقبل اليها الناس يستوطنونها .

وموقع تونس حسن جدا من الوجهة الاقتصادية ، فهي على المخـارج مـن أواسط جمهورية تونس ، وفي موضع جد خصيب ، قريبة من البحر والسواحل

(2) المالكي : رياض النفوس ، تحقيق : دكتور حسين مؤنس ص 33
(3) ابن عذارى : المصدر السابق : ص 36

الاوربية ، ولم يكن لها فى عهود الوندال والبيزنطيين شأن كبير ولكنها بعد الفتح الاسلامى خرجت الى النور وسجل اسمها فى صفحات التاريخ بوصفها المدينة الاسلامية التى ورثت بعض مفاخر قرطاجنة ، ثم سرعان ما أخذت تنافس القيروان .

ولسنا نعرف عن هذه المدينة ـ فى هذه الفترة ـ شيئا محققا وكل الذى نتبينه ظنون يشوبها الابهام عن أصل مختلف الشعوب التى نزحت اليها ، فقد نزلها تجار وعمال نصارى ثم أخذ سكانها يتضاعفون بمن أسلم من اهلها ومن انضم اليهم من الجند العرب .

والمسجد الجامع هو أول بناء اسلامى شيد للعبادة وقد ظل قبلة أهل المدينة قرونا ، وهو الجامع المعروف « بجامع الزيتونة » وقد سمى كذلك نسبة الى القديسة زيتونة التى عاشت زمن الوندال (4) .

وتقول بعض الروايات : ان الذى شيده هو «ابن الحبحاب» ، الذى جدد أيضا « دار الصناعة » .

ويمكن القول : إن تونس لم تكن كالقيروان فى انتظام نشأتها فقد نمت فجأة وتهيأت لشأنها الجديد الذى أملته الظروف وارادة فاتحها البعيد النظر ، ولم يكن ذلك طفرة ولكن تم على مراحل .

اشتهرت مدينة « تونس » ابان القرنين الثالث والرابع الهجريين باتساع تجارتها كما اشتهرت بصفة خاصة بتدريس الفقه وعلوم الدين ، فكان فيها ـ قبل أن يرتفع صيت القيروان ـ علماء مبرزون ساهموا بدروسهم فى نشر الاسلام بين ربوع البلاد منهم المحدثان : « على بن زياد » و « عباس بن الوليد الفارسى » ، وقد صنف أبو العرب التميمى فى مستهل العهد الفاطمى رسالة مفيدة فى طبقات هؤلاء العلماء التونسيين الاول ، كذلك أضيفت الى المسجد الجامع بنايات دعت اليها الضرورة كما أدخلت عليه تعديلات هامة فى عصر الاغالبة ، وكان من اليسير تشييد الابنية الدينية وغيرها فى تونس ، نظرا لامكان جلب بقايا « قرطاجنة » ، التى هدمت ـ وكانت قريبة منها ـ من حجر ومرمر وعمد وتيجان .

---

(4) المالكى : رياض النفوس : ص 37

كانت تونس مركز معارضة السلطان المنبعث من القيروان ، فنراها اشتركت في معظم الفتن التى أخمدها عمال الامويين والعباسيين ثم أمراء الاغالبة ، وقد رأى ابراهيم الثانى (الاغلبى) ، أن يضبط أمورها بنقل بلاطه وحكومته اليها سنة 281 هـ ، وشيد لهذا الغرض عددا من المبانى منها « القصبة » ولكن قفل راجعا الى « رقادة » بعد عامين اثنين ، ولم تكن الاسباب قد تهيأت بعد لكى « تصبح » قصبة افريقية ....

وجاء خلفاء الفاطميين فتعمدوا اهمال مدينة « تونس » بجعل قصبتهم « القيروان » أو «المهدية» التى انشؤوها ، وقد شهد «ابن حوقل» بما كانت عليه « تونس » من ازدهار فأطنب فى الاشادة بوفرة غلاتها ، وحسن موقعها وثراءأهلهاورى البساتين التى حولها بالطواحين المائية (5) ، وزاد « البكرى » تفاصيل أخرى فذكر الاسوار والخندق والابواب الخمسة التى هى :

باب الجزيرة فى الجنوب ، وباب قرطاجنة فى الشرق وباب السقائين وباب أرطة فى الغرب ، وباب البحر .... ، كما أعجب بأسواقها العامرة وحماماتها وبالمسجد الجامع وكثرة زادها من الفواكه والسمك ولم يفته أن يذكر فخارها (6) .

وظلت «تونس» فى أمن ورخاء حتى غزاها العرب الهلالية ، فطلبت الامن ودخلت فى طاعة « الناصر الحمادى » صاحب القلعة فأرسل اليها عامله عبد الحق بن خراسان الصنهاجي سنة 451 هـ الذى سرعان ما جاهر باستقلاله وتأسيست بذلك أول دولة تونسية .

مكنت هذه الدولة لنفسها قرنا من الزمان الا عشرين عاما حتى غزاها الموحدون بعد ذلك بقرن على التحقيق ، وجار عليها أول الامر « الرياحية » من بنى على ، فصالحتهم تونس على جزية سنوية لتأمن غاراتهم ، ولكن عكر صفوها فى الوقت نفسه شبوب الفتن والاحزاب المتنافسة ، والتنابذ بين الاحياء المختلفة ، ومع ذلك فقد بدأت تجارتها فى البحر تنفق فى هذا العهد المضطرب فانتظمت تجارتها مع ايطاليا وغيرها من دول البحر المتوسط وتمت ، فأدى ذلك الى رخاء لم يكن فى الحسبان .

---

(5) ابن حوقل : صورة الارض : ص 100

(6) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب : ص 30

وقد كان لبنى خراسان أنفسهم نصيب كبير فى ترقية مدينة « تونس » وازدهارها فحصنها أحمد ـ وهو أعظم امرائهم ـ وبنى الاسوار وشيد القصر وربما كان المسجد المعروف ـ بجامع القصر ـ متصلا به فى أول الامر .

هذا وتحددت هيئة «تونس» عندما قامت ضاحيتاها الكبيرتان : باب سويقة وباب الجزيرة ، وهما يمتدان شمالى المدينة وجنوبها ، واخذ شأنها يعظم حتى أصبحت قصبة افريقية وقد ظل هذا حالها منذ عهد عبد المؤمن سنة 554 هـ الى وقتنا هذا واندمج تاريخها السياسى فى تاريخ جمهورية تونس .

وفى ظل الحفصيين تمتعت «تونس» بالامن والرخاء وزيادة المنشآت المختلفة، التى من اهمها «جامع السلطان» ومسجد القصبة الذى كانت مئذنته على النمط الموحدى الخالص ، وخزانة الكتب التى بدرها ابن اللحيانى ثم مدرسة «الشماعية» بالقرب من سوق الشماعين القديم ، وكانت أول مدرسة فتحت فى شمال افريقيا والمدرسة التوفيقية ومدرسة المعرض فى سوق الكتبيين ، وقد بنيت مكان فندق كان يؤمه شاربو الخمر !!.

وقد أصبحت تونس فى القرن التاسع الهجرى قريبة الشبه بتونس الحالية، حيث امتدت من الشمال الى الجنوب ، وكانت تنحصر بين القصبة من ناحية الغرب وبين باب البحر من ناحية الشرق ، وهذا الباب يفتح على دار الصناعة ومنها الى البحيرة وفى منتصف هذا المرقى وفى وسط المدينة يوجد المسجد الكبير وتفتح أبوابه على الاسواق الجديدة المحيطة به .

كانت تجاور باب البحر عدة فنادق يتوزعها تجار النصارى فلما ضاقت بهم هذه البقعة بادروا الى بناء حى صغير خاص بهم خارج الباب (وهو الصورة الاولى للحى الاوربى) وكانت الدور تبنى متلاصقة لافسحة بينها ولا رحبة للاسواق والمحافل .

اما الاحياء الخارجية فهى أحدث عهدا وأقل زحاما وفيها رحبات واسعة يبيع الناس فيها ويشترون ، ويحمى كل حى من هذه الاحياء سور خارجى ينتهى عند القصبة .

وقد اعتزت «تونس» بمن خرجتهم من الفقهاء والادباء والعلماء الذين ازداد عددهم على مر الايام .... وكانت للمسلمين المهاجرين من الاندلس مشاركة قيمة فى النهوض بدراسة الادب وفقه المالكية منهم : ابن الابار وابن الغماز وقد وفدوا من بلنسية وبنو عصفور من اشبيليه ، وكذلك بنو خلدون اجداد ابن خلدون مؤرخ افريقية الاشهر .

وكان القرن العاشر الهجرى ، فاستقرت أمور تونس سياسيا ولهذا نرى أن حركة البناء قد نشطت نشاطا ملحوظا فابو فارس وحفيده أبو عمر عثمان (من بنى مرين) أنشآ خزانتى كتب وبعض المدارس وبيمارستانا اسلاميا فيها وعدة زوايا فى الاحياء الملحقة ويتضح من قرائتنا للمراجع المختلفة أن التجارة آخذه بأسباب الرقى فى هذا الوقت حيث كانت « تونس » على اتصال مستمر بأوربا وكانت بها الاسواق العديدة : للزيت والخضر والفحم الحجرى وللنحاسين ولصانعى السلال .

وكان القرن الحادى عشر الهجرى يسوده الاضطراب فاصبحت المدينة من أغراض الترك والاسبان فى حروبهم الطويلة ، وفر أهلها - فى جمع وأحد - أمام النصارى !!.

وعندما رحب « الداى عثمان » بعرب الاندلس ، عقب خروجهم منها بعد طرد فيليب الثالث لهم ، اخذت العمارة فى الازدهار ، واقام أهل الحضر من الاندلسيين فى حيين اثنين من «تونس» هما : شارع الاندلس جنوب غربى المدينة وحومة الاندلس بالقرب من موضع الحلفاوين .... والاندلسيون هم الذين ادخلوا صناعة القلانس الحمر الى تونس .

وفى أواخر القرن الحادى عشر وبداية القرن الثانى عشر الهجريين سادت القلاقل السياسية واحتل أهل الجزائر تونس مرتين وصحبت ذلك فتن سفكت فيها الدماء ولم تكن الاسوار من المناعة بحيث ترد هجوما عنيفا ولم يتبع فى بنائها قاعدة من قواعد التحصين ....

وجاء الاحتلال الفرنسى سنة 1881 م فاحدث تطورات خطيرة فى تونس كان لها أثرها فى « دفع الحركة الوطنية التونسية » الى استمرار الكفاح والنضال ضد وجوده .... مما أدى فى النهاية الى حصول تونس على استقلالها الوطنى (*) .

د. احمد الحفناوى
(مصر)

(*) آثرنا نشر هذا المقال الوارد علينا من مصر للدكتور أحمد الحفناوى مدرس التاريخ الاسلامى قسم التاريخ - كلية التربية جامعة المنوفية . وهو يعبر عن فكرة مجملة لما يتصوره هذا المربى عن تاريخ تونس الاسلامية . على أننا لاحظنا بعض الاخطاء التاريخية والسرعة فى الحكم مما يضطرنا الى دعوة مؤرخينا الى الرد على هذا المقال . (الفكر)

أغنية الفجيعة ..

شعر : يس الحلاج

– 1 –

نتساءل : كيف
تموت الوردة فى القلب
ويضيق المنزل بالضيف ؟

★ ★

نتساءل : كيف
على خد الصحو
يتلاقى السيف مع السيف

★ ★

نتساءل : كيف
والحوت يغنى فى البحر
والبحر يجف مع الزيف ؟

★ ★

نتساءل : كيف
نتوهج ثلجا فى الصيف ؟
نتوهج ثلجا فى الصيف ؟

– 2 –

تفتحين الباب تلو الباب فى وجهى
فادخل
فى يدى باقة ورد وقرنفل ..
ويغنى طائر الزهو على قيد شذى منى
ومنك
اننى أسأل عنك
دائما أسأل عنك
دائما أيتها السمراء أسأل ..
أيها الحلم تمهل !
اننى أخشى على دفق الشذى ان يترهل

– 3 –

أعطينى أيتها الجبلية ثبتا او نبذه
عن كم حلاج
تأخذ ـ ساكنة المنفى ـ أخذه
أعطينى أيتها الجبلية ثبتا أو نبذه
عن كم غيفارا
يطلع بين بيوتات اللذة ..

انى أتعذب أيتها الجبلية فى هذا العالم
وأسير بلا وجه .. وأنا نائم

- 4 -

امى سيسى تتسكع فى الطرقات
وجدت فلســـا
ماذا تبتاع به : خبزا أو بيتا من طين
ذهبت فى الحين الى الملاسين
ومن تلك اللحظات
باتت تتكلم مثل جميع المحتاجين
لغة الفقراء ...

- 5 -

وأبى يطوى العذابات بتدخين السجائر
وهو حائر ..
لم أكن احسب أن الجرح غائر
قلت والطقس أغاريد وأزهار وصحو :
« لنكن حالا أكابر ! »
لم أكن أحسب أن الجرح غائر
قال لى وجه أبى .. دون التفات
ان شيخ الحى مازال على قيد الحياة ..
ولهذا ، قد نسافر ..
ولهذا ، قد نسافر ..

يس الحلاج

من قصائد العدد القادم

شعر : هشام المحمدى ...... **جبهن وشم على الرمل والزوابع .**

شعر : حمادى الباجى ...... **خواطـر مجنحـة .**

شعر : أبـى وجدان .... **ضحـك كالبكـاء .**

شعر : عبد الله الزناد ...... **سفينـة الحكمـة .**

تطوير التربية لتحقيق تنمية مؤسسة على العلم المضبوط والتقنية

بقلم : د . محمد فاضل الجمالي

ان ثورة العصر الحقيقية هي ثورة علمية . فالانسان الحديث باكتشافه الطريقة العلمية المضبوطة والدقيقة واستخدامه اياها مستعينا بالآلات البصرية والتحاليل والتجاريب المحققة استطاع ان يتعرف على القوانين الطبيعية وينمي الثروة العلمية في حقول الفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة بسرعة متزايدة . والى جانب ذلك قام الانسان الحديث باكتشافات جغرافية وتعرف على طبيعة الكرة الارضية وما تحويه من كنوز . والتقنية عبارة عن تطبيق هذه القوانين العلمية وهذه الاكتشافات تطبيقا عمليا ووضعها في خدمة الانسان في حقول الصناعة والزراعة والطب والهندسة والمواصلات ووسائل الاعلام ووسائل الرفاه ووسائل الفتك والدمار . وقد كانت أوربا سباقة في هذا المضمار في العصر الحديث تبعتها الولايات المتحدة الامريكية فاليابان فالاتحاد السوفيتي .

ان العلوم المضبوطة وما أدت اليه من تقنيات واختراعات أكسبت الانسان قوة ورفاها ليس لها مثيل في التاريخ . ولكن هذه القوة المادية المتعاظمة لم ترافقها قوة موازية في حقلي الاخلاق والروحيات . قلت : موازية ولم أقل متلاحمة ، ذلك لان أوربا عامة تفصل بين العلم والدين . ونتيجة طغيان القوة المادية كانت سيطرة الانسان على أخيه الانسان وعم الاستعمار معظم الاقطار الاسيوية والافريقية . ورافق الاستعمار الحروب التي أهلكت الملايين من البشر وذلك بفضل اختراع الاسلحة الفتاكة والسير في تطويرها وجعلها اكثر فتكا بدون هوادة ولا توقف .

كانت التربية وما تزال هي المسؤولة الأولى عن كل هذه التطورات الخيرة منها والشريرة . فهي التي أنجبت العلماء والمخترعين وهي التي غذت

عقول الساسة والعسكريين بحب المغامرة والفتوحات . ولذلك كانت التربية تحمل التناقض في الأهداف . فهي من جهة تؤدي الى ازدهار العلوم والتقنية بحيث تصبح وسائل للتنمية وتعمل على تحقيق صحة الانسان وسعادته ورفاهه وحرينه واخائه وبعبارة أخرى تحقيق انسانيته . وفي الجهة الأخرى انها بتقصيرها في الحقل الروحي ، الاخلاقي توجه الانسان توجيها هداما مدمرا وذلك باستخدامه خيرات الارض وثروات البشر في التدمير والتفقير بدل الرفاه والتعمير .

اذن فالتحدي الكبير الذي تجابهه التربية في عصرنا هذا هو ان كانت قادرة على توجيه العلوم والتقنيات لتكون وسيلة تنمية ورفاه للانسانية بدون ان تكون وسيلة افناء ودمار . وسبلة تقارب وتفاهم بين البشر لا وسيلة نشر للغرور والتعصب والانانية ؟

بالعلم المضبوط وبالتقنيات ساد الغرب وفرض هيمنته السياسية والاقتصادية والحضارية على شعوب العالم الثالث . وبها اشعل الغرب حربين عالميتين في النصف الأول من هذا القرن . حربين جلبتا الويلات على البشرية في كل أنحاء المعمورة . ولذلك قام مفكرون سياسيون واجتماعيون يدعون الى السلام على أساس الحرية والاخاء والمساواة بين الشعوب ونادى رئيس الولايات المتحدة الامريكية ويلسن بعد الحرب العالمية الاولى بحق تقرير المصير لشعوب العالم أجمع . فمن معجزات هذا القرن ان معظم الشعوب الاسيوية والافريقية التي كانت ترزح تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي والهولندي والبلجيكي والاسباني والبرتغالي حققت استقلالها السياسي وها هي اليوم تبحث عن طرق النهوض وتعلم حق العلم ان العلوم المضبوطة والتقنيات هي الوسيلة الناجعة للنهوض . ولكنها تجابه في سبيل الحصول على العلوم والتقنيات مشاكل عديدة وعقبات داخلية وخارجية لا بد من التغلب عليها لتحقيق النهوض المنشود . وها نحن فيما يلي نشير الى نماذج من هذه المشاكل :

1) ان عهود الاستعمار حرمت بلاد العالم الثالث عامة من انتشار التعليم على اختلاف انواعه ودرجاته ولا سيما نوع التعليم الذي يحقق القوة في حقل العلوم المضبوطة والتقنيات . فالتعليم القليل الذي رعاه المستعمر تغلب على مادته الصبغة الادبية والاكاديمية . وتغلب على طريقته صفة الحفظ الأصم والتقليد . اما البحث العلمي في المختبر وفي الحقول ، أما حب المغامرة في

سبيل اكتشاف خيرات الأرض واسرار الطبيعة والمجتمع البشرى فيكاد يكون غائبا عن التربية التى خلفها لنا المستعمر .

ان نوع التعليم الذى نشأنا عليه فى مدارسنا يمكن ان يوصف بالتعليم « المعلب » فهو أشبه بالغذاء الذى يتناوله الانسان من العلب لانه لم يتصل بالطبيعة وبالحياة . انه يقتصر على درس الكتب وحفظ النصوص أما الغذاء « الطازج » فقلما يتيسر فى معاهدنا التعليمية ولذلك يندر الابداع ويعز الاختراع . إننا « نقولب » الطلاب أى ندخلهم فى قالب واحد مهما اختلفت قابلياتهم وتنوعت مواهبهم وبذلك نوقف نموهم فى مواهبهم الخاصة ونطمس عبقرياتهم .

ان التربية التى درجنا عليها تقتصر على جلوس الطالب خلف القمطر بيده القلم وامامه الكتاب والدفتر من دون اتصال بالحياة وبالواقع ومن دون تعب الفكر والجسم معا وبدون استعمال اليد والعين فى المختبر وفى المصنع وفى الحقل .

2) هناك مشكلة اجتماعية ورثناها من عهود التخلف وهى ان العديد من الشبان والشابات يفضلون الدراسات التى تساعدهم على الانخراط فى سلك الوظيفة الحكومية ويبتعدون عن الدراسات التى تتطلب العمل المضنى فى المختبر او فى الحقل او فى المصنع . فالوظيفة الحكومية مهما صغر شأنها تستهوى الشاب لانها حسب الظاهر تضمن الراحة النسبية وتضمن « سلطة الكرسى » فيصبح الشاب من أصحاب « الياقات البيضاء » . وبذلك تصبح المدرسة وكأنها وسيلة للهروب من الاعمال الزراعية والصناعية وتحرم الريف من الايدى العاملة فى الزراعة . فلا عجب اذا كان العديد من بلاد العالم الثالث لا ينتج ما يكفيه من الغذاء . اتذكر أن نحو ألف طالب تقدموا لدخول كلية الحقوق فى بغداد فى سنة من السنوات فى اواسط الثلاثينات من هذا القرن ولم يتقدم للتخصص فى العلوم والتقنيات سوى أفراد يعدون على الاصابع .

ان الوف الطلاب فى بلاد العالم الثالث يؤمون المدارس والمعاهد العليا لغرض الحصول على الشهادة بقطع النظر عن درجة الاستفادة . انهم يريدون الشهادة احيانا من دون ان يتعبوا أنفسهم فى الدرس وفى العمل . وبعد الحصول على الشهادة وعلى عمل فى دائرة حكومية انهم يطالبون بالرقى السريع فى المناصب بقطع النظر عن درجة نموهم فى حقل اختصاصهم انهم مستعجلون ! على حساب الكفاءات والجدارة .

3) ان النفر القليل من شبابنا وشاباتنا الذين يحصلون على مستوى رفيع في العلوم او التقنيات ويعودون الى أوطانهم من الخارج قد لا يجدون التقدير والتشجيع الذي يستحقونه . فهم قد يصبحون من المتذمرين لانهم يقعون تحت امرة رئيس هو دون مستواهم العلمي . والبعض منهم قد تستهويهم المناصب الادارية او السياسية فيتركون حقول اختصاصهم في العلوم او التقنيات وينصرفون الى الادارة او السياسة . والبعض منهم قد يتيسر له الهروب من أوطانهم الى الغرب او الى المنظمات الدولية . والنتيجة خسارة للبلاد التي انجبتهم والتي تنتظر عودتهم ليشاركوا في تحقيق النمو والازدهار فيها .

4) ان مفهوم التنمية عندنا غير واضح وغير متفق عليه احيانا . فهو عند البعض منا تقليد بلد من البلاد الغربية الراقية ونقل ما فيها الى بلادنا بينما يرى البعض الآخر هو ان تكون التنمية ذاتية تنبع من بيئتنا وتلائم ظروفنا المادية والاجتماعية وهذا هو الرأي الصحيح في نظرنا وهو ما نرجو ان تأخذ به البلاد الغنية بمواردها النفطية خاصة .

5) ان تحقيق التنمية يتطلب اعداد الاخصائيين في شتى حقول العلوم والتقنيات ولذلك فلا بد من وجود تخطيط للتنمية يعد على ضوئه العدد المطلوب لكل اختصاص وهذا ما لم يتوفر بعد في معظم بلاد العالم الثالث . ولذلك فمعظم بلاد العالم الثالث تفتقر الى العمال الماهرين في صناعات الميكانيك والكهرباء مثلا بينما فيها العدد الوافر من المحامين والادباء والصحفيين في بعض الحالات .

6) ان تحقيق التنمية يتطلب تحقيق الامن والسلام السياسي والاجتماعي في البلاد . اما حيث تحدث التقلبات والانقلابات في الحكم كما هو الحال في العديد من بلاد العالم الثالث فليس من السهل تحقيق التنمية . فخطة التنمية التي تضعها حكومة ما اليوم سوف تهمل غدا . والخبير الذي أعددناه في حقل من حقول الاختصاص قد يزاح عن حقل اختصاصه أو يودع السجن . وبذلك نكون قد عطلنا عملية التنمية وخسرنا ثمرة التربية .

7) قد تعوزنا الموارد فلا نستطيع اقتناء الآلات والأوات المطلوبة للتنمية ولمختبرات العلوم والتقنية . وقد نكون اغنياء فنجلب منها الكثير الغالي الثمن ولكننا لا نحسن استعمالها أو العناية بها وقد تبقى مخزونة في الصناديق لمدة طويلة لأننا لم نهيىء لها ما يلزم من مبان . ثم اننا قد لا نحسن اصلاح

الاجهزة اذا أصابها عطب ولذلك فقد تبقى معطلة مهملة . ويصدق هذا بصورة خاصة على الاجهزة والآلات الكهربائيـة والالكترونية . ان مبـدأ « الصيانـة » (Maintenance) لم يجد التقدير الذى يتطلبه فى معظم بلاد العالم الثالـث بينما هو فى البلاد المتقدمة يحظى بالأولوية .

8) من العوائق البارزة فى طريق حصولنا على العلوم المضبوطة والتقنيات سياسـة الدول المصنعـة ولا سيما التى كانت تستعمرنـا بالامس القريب . فالدول المصنعة لا تشجع الدول النامية بل وقد تتعمد حرمانها من الاضطلاع والاخذ باسرار العلوم والتقنيات . اتذكر جيدا ان مدرسة الصناعة فى بغداد (فى الثلاثينات من هـذا القرن) وكان يرأسهـا مدير بريطانى قلما خرجـت أناسا صناعيين بل انها خرجت فعلا عددا من الكتبة لدوائر الحكومـة وبعض الاكاديميين . عبثـا حاولنا اقناع الانكليز ان يأتونا بصناعيين ماهرين ليعلموا طلابنا المهارات الصناعية . اضطررنا الى استدعـاء خبير المانى فـى التعليم الصناعى ليرشدنا الى نظام ناجح فى التعليم الصناعى فعلمنا منه ان المدرسة الصناعيـة كانت تعلم نظريات الصناعـة ولم تعن العناية المطلوبة بالتمرين والتدريب . ثم عرفنا فيما بعد ان نظام التعليم الصناعى فى انكلترا كان يترك أمر التدريب الصناعـى الى المصانع . والمدرسة لا تهـىء الطالب لان يكون صناعيا ماهرا بل انها تهيئه لدخول المصانع حيث يكتسب المهارة الصناعية .

وحين اوفدنا طلابا الى المصانع البريطانية لم يسمح لهـم آنذاك بالاطلاع على دقائق الصناعة حتـى ان الطلاب هناك انهالوا ضربا علـى طالب عراقـى حين حاول التوغل فى الاطلاع على عملية « سبك » للفولاذ .

ان الاحتفاظ بالاسرار العلمية والتقنية عنـد الامم المصنعـة مـن الامـور المعروفة والمألوفة ولم يستطع الاتحاد السوفيتى الحصول على اسرار القنبلة الذرية لولا لجوئه الى التجسس وشراء الضمائر . فهل لنا ان نطالـب البلاد المصنعة والانسانيـة فى كل مكان بـأن تكشف عن اسرار العلم والتقنيـات فتضعها تحـت تصرف الانسانية قاطبة بدون تمييـز سياسى او حضارى او عنصرى أو اقليمى ؟

ومن المفيد جدا ان نتعرف على الطرق التى استطاعت بفضلها اليابان ان تقتبس من الغرب ما عنده من أسرار علمية وتقنية .

دور التربية فى النهضة العلمية التكنلوجيـة :

ان المهام الرئيسية التى تقع على عاتق التربية (بمعناها الشامل) تتلخص فـى اعداد التربة الاجتماعية لغرس البذور الصالحة واروائها ورعايتها حتـى تثمر الصالح . وها نحن نذكر بعض هذه المهام على سبيل المثال لا الحصر :

التوعيـة وتهيـاة المنـــاخ :

ان المجتمعــــات فــى البــلاد الناميــة عــامــة تغلــب عليهـــا « الامية التكنلوجيـة » . فجل ما عندنـا من ثمـار العلوم والتقنيـات هو من انتاج الجهد الغربى . ومهما طاب للعديد منا ان ينادى بضرورة الاخذ بالعلم المضبوط والتقنيـة فنحن ما زلنا متخلفين فـى ذلك . نحن لا نعرف اى بلد عربى او اسلامى وضع لنفسه خطة فعالة ومتكاملـة للأخذ بالعلوم والتقنيـات وتطبيقها على الحياة . فما زالت صناعـة الكلام عندنا تطغى على صناعة الآلة وحرث الارض . وشبابنا يقبل بكثرة على درس الحقوق والآداب والاجتماعيات واللغات والفلسفة اكثر من اقباله على درس الميكانيك والكهرباء والالكترونيات والفلاحة وطبقات الارض والكيمياويـات . اذن فنحن فـى حاجة الى تجديـد آفكارنـا التربويـة وتفتح نظرتنـا الى الحيـاة بحيث نتخلص من المركبـات والترسباب النفسية التى تجعل البعض منا يفضل صناعة الكلام على صناعـة البحث العلمى والتطبيق الآلى . وهـذا يتطلب توعيـة عامة تقوم بها التربيـة للحاكمين وللشعـوب فى بـلاد العالم الثالث . لا بد من توعيـة الجميع الـى ضرورة الأخذ بالعلوم المضبوطة والتقنيات وايجاد الحماس لديهم فـى جـو ملؤه الطموح والامل ، جو تسوده الحريـة المسؤولـة والدمقراطية بمعناهـا الانسانـى الرفيع المعنى الـذى يحترم العقل ويضمن كرامـة الانسان علـى أساس الاخوة والهدف المشترك . ففى هذا « المناخ » تنمو العلوم وتزدهـر التقنيات . وهذا يتطلب قيادة حكيمة قيادة تتحلى بالعلم وبالحكمـة وبالتجرد من العصبيات والانانيات .

اعادة نظر جذرية فى برامج الدراسة وتكوين الانسان الجديد :

ان التربية التى تحقق التنمية على اسس العلم المضبوط والتقنية ينبغى ان تحقق فى نظرنا ما يأتـــى :

تعنى باشاعة **اوضاع نفسية** (Attitude) متجددة ومتفتحة ، أوضـاع نفسية تقبل على العمل اليدوى وتفخر به وتعطى العامـل والمفكر والباحـث

المقام الاجتماعى اللائق به فى المجتمع . فلا تفضيل لمهنة على أخرى الا بما فيها من تعب واتقان وما تقدمه للامة من خدمات .

تعنى بغرس سجايا اخلاقية ضرورية لتحقيق التنمية مثل : حب العمل ، الصدق والامانة ، الدقة فى القياس ، والصبر وعدم الضجر ، حب التنسيق والترتيب ، والمحافظة على الاوقات والمواعيد ، عدم اضاعة الوقت بالعبث التعاون والانسجام مع الغير ، قبول الافكار الجديدة ، الغيرة على نجاح المؤسسة التى ينتمى اليها .. الخ ..

تعنى بتنمية **حب البحث والتحرى** والاكتشاف فى الطبيعة وفى المختبر وفى تركيب الآلات كما تعنى بتنمية اليقظة الدائمة ودقة الملاحظة .

تعنى بتكوين **المهارات** الامر الذى يتطلب رغبة صادقة عند الطالب تدفعه الى القيام بتمارين مستمرة حتى يتحقق الاتقان مع السرعة أى درجة عالية من الضبط وتجنب الاخطاء . لو نظرنا الى ما تنتجه المطابع عندنا مثلا لوجدنا فى بعض المطبوعات اخطاء كان يمكن تلافيها فيما لو اعيد التصحيح مرة اضافية . وما يقال عن المطابع يصدق على استعمال الآلة الراقنة فقد عرفت راقنا عراقيا يطبع بمعدل ١٢ كلمة فى الدقيقة (باللغة الانكليزية) بينما عرفت راقنة فى الولايات المتحدة الامريكية تطبع حوالى الستين كلمة بالدقيقة . فالمسالة مسألة تكوين المهارة وهى تتطلب التمرين الذى لا ينقطع وفق اسلوب صحيح . والمهارة ذاتها تتجلى فى الالعاب الرياضية حيث يربح الفريق الماهر . وكذلك فى ساحات الحروب . وليس بعيدا عنا سقوط أربع طائرات عربية فى كل من لقائين مع الطائرات الاسرائيلية فوق لبنان ولم نسمع عن سقوط طائرة اسرائيلية نحن لا نشك فى ان للتدريب المستمر والمهارة الفائقة أثرها فى التغلب الاسرائيلى . ان البلاد النامية لا يجوز ان ترضى لنفسها مستويات واطئة وحتى متوسطة فى المهارات انها ينبغى ان تطمح الى السمو وان تحقق السمو وذلك بالمزيد من الجهد والمران والاتقان

تعنى باكتشاف وتنمية واستثمار قابلية الابتكار والابداع والاختراع . من الامور المسلم بها ان قابلية الشعوب العربية فى الابداع والاختراع لا تقل عن قابلية أبناء الشعوب المصنعة . فعندنا نبغاء وموهوبون كما عندهم . ولكننا قلما نعنى باكتشاف مواهبهم وتنميتها واستثمارها بينما فى البلاد المصنعة يكتشف العباقرة فيشجعون ويستثمرون . خذ المرحوم كامل الصباح مثلا . شاب من جنوب لبنان نزح الى الولايات المتحدة وبرز فى

الكهرباء استخدمته شركة (جنرال الكتريك) فى سكنكتيدى فأنتج ما يزيد عن الثلاثين اختراع فى الحقل الكهربائى . والكثير منا سمعوا باسم الجراح الشهير فى جراحة القلب الدكتور « دبكى » هو لبنانى الاصل واسمه العربى « دبغى » انه كان من اول البارزين فى جراحة القلب فى الولايات المتحدة الامريكية . والدكتور « اسعد نيازى » وهو عراقى هاجر الى اميركا كان من اوائل المكتشفين لطريقة تشخيص مرض السرطان فى الولايات المتحدة الامريكية . ويمكن للمتتبع أن يعد العشرات من الاسماء العربية التى لمعت وانتجت فى الغرب . اما عندنا فيندر ان نسمع عن مخترع أو مبدع فى حقل اختصاصه (وقد يستثنى فى حكمنا بعض الفنانين فى الرسم والأدب) ذلك لان تربيتنا يندر ان تعنى عناية خاصة باكتشاف العبقريات . والعبقرى الموهوب قد يكون فى الريف او فى الصحراء . والبرامج الدراسية عامة لا تسمح بالتنويع والتجديد والابتكار . ان العناية باكتشاف الموهوبين وتربيتهم من الامور التى تعنى بها التربية الحديثة عناية خاصة . وقد عملت معظم الدول المصنعة الى تأسيس معاهد خاصة لتربية الموهوبين . وحتى اذا وجدوا فى معاهد عامة مع سائر أبناء الشعب فانهم قد يلقون عناية خاصة من قبل الاساتذة بحيث تنمى مواهبهم الخاصة وتستثمر .

نعنى بتوفير «ثقافة تقنية» لابناء الشعب كافة فالحياة المعاصرة تتطلب من كل مواطن ان يلم بشىء من الحياة التقنية : من أدوات ميكانيكية الى وسائل كهربائية .

ولذلك يجدر بواضعى البرامج الدراسية ان يعيدوا النظر اساسيا فى البرامج الموجودة فيدخلوا فيها نشاطا تقنيا لكل الطلاب يتبع ذلك توجيه لذوى المواهب الخاصة الى الاختصاص فى حقل من حقول التقنيات هذا وان « التربية التقنية » يمكن ان تبدأ فى البيت وفى رياض الاطفال من الطفولة المبكرة (السنة الثالثة من العمر مثلا) حتى سن الرشد . فالاطفال فى السنوات الاولى من عمرهم يبدؤون (عن طريق مواد اللعب) فى تفكيك وتركيب الاجهزة الميكانيكية البسيطة . كما أنهم قد يبتكرون فى لعبهم بالطين او الرمل او البناء بالقطع الخشبية أو التفكيك والتركيب للأدوات (اللعب) الميكانيكية . وحين يبلغ الاطفال السنة الثانية عشرة من العمر يمكن حملهم على ممارسة اعمال منتجة صناعيا او زراعيا أو تجاريا أو فنيا أو حرفيا بحيث يمكن ان تصبح مورد رزق للبعض منهم فى المستقبل .

أن نعنى **بالاعمال اللاصفية :** والاعمال اللاصفية أو (اللامنهجية) هى أعمال تربوية يقوم بها الطلاب خارج ساعات الدراسة الاكاديمية . ينصرف الطلاب كل حسب ميوله واختياره الى ممارسة نشاطات حرة **كالميكانيك** او **الكهرباء** أو **التصوير** أو صنع **الراديو** أو **الطيران** او **الفلاحة** او ادارة حانوت مدرسى او الفنون الادبيـة والجميلة (كالشعر والموسيقى) او الصحافـة او الخدمـة الاجتماعيـة او الفروسيـة أو اقتحـام الجبـال والبحـار او الحياة الكشافية والرياضية الى غير ذلك ... فالنشاطات الحرة هـذه تظهـر مواهب الطالـب الخاصة وتعوده على المبادأة فى الحياة الحرة كما تعلمه التعاون مع الغير مـع تحمل المسؤولية .

ان نعنى بتعليم التخطيط : فالتنمية الشاملة التى نريدها لحياتنا الخاصة والعامة ينبغى ان تؤسس على الحساب والقيـاس والتخطيط التعاونـى فـى البيت وفى المدرسة وفـى المجتمع وفى الدولة . فلا بد للتربيـة اذن من ان تدخل عملية التخطيط فى البرنامج المدرسـى فتعلم الطلاب القيام بمشاريع تعاونية ووضع الخطط المضبوطة لها . ان « طريقة المشـروع » المشهـورة (Project Méthod) والتـى تعتبر الهدف المشرك للطلاب محـورا تدور حوله الدروس مـن الطرق المناسبـة جدا للبلاد النامية . فالطلاب او جماعة منهم قد تخطط لغرس الاشجار فـى بقعة جرداء او قد تقـرر القيام بمشروع صحى مثل تنظيف البيئـة من النفايات او بمشروع اقتصادى كانشاء حانوت تعاونى فـى المدرسة او بمشروع اجتماعى أدبى كتنظيم حفلـة مدرسيـة او تمثيل رواية أو القيام برحلة الى قطر مجاور او اصدار مجلـة مدرسية الخ ..

ان تعويد الطلاب على التخطيط التعاونـى فى الحياة يعودهم على المبـادأة والابـداع والتعاون مع تحمل المسؤوليـة . ان طريقـة المشروع هذه مـن الوسائل الفعالة لجعل التربية تسير فى خدمة التنميـة . وهـى طريقة ان لم يكن الاقتصار عليها كليا فى وضع برامج الدراسة فيمكن الاستفادة منها الى حد معقول فى ربط حياة المدرسة بالبيئة وبالمجتمع .

يعنـى بتأسيس المعاهد والمعامل وارسال البعوث العلمية والتقنية الـى البلاد المتقدمة : الى جانب اشاعة التعليم التقنى فى مراحل التعليم الأولـى تنبغى العناية بتأسيس المعاهد التقنيـة على مستويات متصاعدة : مستـوى ثانوى ، مستوى عال (قصير) ، مستوى عـال اختصاصى جامعى ، ومستوى اختصاص ممتاز بعد الجامعة . ولا بد لمن يتخصص فى التربية العلمية والتقنية

ان يحصل على قسط وافر من العلوم الانسانية بحيث يقدر القيم الانسانية التى تعيش بها ولها أمته . اتذكر انى زرت معهد كاليفورنيا التكنولوجى فى « باسادينا » سنة 1945 وتحدثت مع رئيس المعهد العالم الفيزيائى الكبير الدكتور « ميليكان » حول برامج الدراسة فى المعهد فاعلمنى ان ثلاثين فى المائة من دراسة الطالب تكرس للعلوم الانسانية . ذلك لان المتخرج من المعاهد التكنلوجية لا بد له ان يفهم المجتمع والعالم الذى يعيش فيه : المشاكل والاهداف وان يكون عضوا عاملا فيه .

يعنى بالحصول على اسرار العلوم المضبوطة والتقنيات : ربما كانت أفضل طريقة للحصول على اسرار العلوم والتقنيات هى فى تهيئة علماء وتقنيين فى اعلى مستويات الاختصاص . فاذا توفر نفر من المحصلين درسوا فى المعاهد الكبرى الشهيرة فى البلاد المتقدمة وزاملوا أبرز الاساتذة فيها ثم عادوا الى أوطانهم وصاروا يقومون بابحاث مبتكرة تجذب انظار العلماء فى البلاد المتقدمة اليهم فقد يبدؤون بتبادل الخبرات والاسرار العلمية والتقنية وهذا ما فعلته اليابان .

وهناك طريقة أخرى معروفة وهى عبارة عن ذهاب نفر من شبابنا فيعيشون فى البلاد المتقدمة ويندمجون فى حياتها العلمية والتقنية بحيث يصبحون من كبار العلماء والمكتشفين ثم يجودون فيما بعد بهذه الاسرار على أبناء امتهم التى انجبتهم .

وصفوة القول : ان امام البلاد النامية عامة والبلاد العربية خاصة فرصة سانحة وحاجة ملحة لان تفكر تفكيرا ممعنا فى تحقيق نهضتها الجديدة التى نرجو ان تكون نهضة مؤسسة على العلم والتقنيات المقترنة بالايمان وبالاخلاق الفاضلة . وذلك يتطلب التغلب على ما أشرنا اليه من عقبات ثم تخطيط منهج مرحلى واقعى تصبح التربية فيه العامل الموجه فى حياة الشعب وتحقيق المستقبل الافضل على اساس الاخاء والتعاون النزيه والسير فى مدارج الرقى والازدهار والسلام العام للانسانية جمعاء .

ومن الله التوفيق

محمد فاضل الجمالى

مقاطع ليليّة ...

شعر: رياض المرزوقي

1. الغيرة تنهش أضلاعي
مدّي زنديك على البحرْ
غطّيه برمشيك ، وهاتي الفجرْ !
فصدى الحرب الكبرى في أسماعي
2. بين الليل وبدء الفجر كخيطٍ من نسج عناكبْ
أوما بين سماء الحقّ ودعوة راهبْ ،
أوما بين النهد الخفّاقِ وكف اللاعبْ ،
أوما بين فؤادِ الشاعرِ والشعْرْ ،
أرجوكِ . فسمدّي الاصبع . هاتي الفجرْ !
3. هل يعقل أن يستتر الحقّ ؟
أيجوز بأن الكذبَ الممقوتَ يغطّي الصدْق ؟
هل تصغين بصدرى طرقَ الطرْقْ ؟
وترين على الآفاقِ هروبَ العمْرْ ؟
فكي الأزرارَ بلا رفقْ ..
شقّي الثوبَ ، وهاتي الفجْرْ !
4. وكما ابتلعت أمواجَ البحر الظلماتْ ،
لم يأتِ الفجْرْ ،
تحركت الأمواتْ ..
وأزهر فنّ السحرْ ..
ولم أبعثْ .

الأبعاد التربوية في الرسالة التاريخية الاسلامية

بقلم : أبو القاسم العليوي

اتسم الاستعداد لاستقبال القرن الهجري الخامس عشر بالحرص على ابراز مظاهر العبقرية الاسلامية المتجلية ، خاصة ، في مقاصد التعاليم ، وفيما كان يتصف به السلف الصالح المصلح من جرأة في الاجتهاد ، وفحولة في العزيمة تشهد بهما كنوز التراث ، وشتى الفتوحات الحضارية التي لم تتحقق الا بالتوفيق الرشيد بين جوهر العقيدة وملابسات الحياة الفردية والجماعية .

ولئن تعددت - في دار الاسلام وخارجها - دواعي العود الى التاريخ عامة وتاريخ الاسلام خاصة لاستقرائه او لاعادة استقرائه واستخلاص ما يزخر به من بليغ العبر التي لا غنى عنها في اكتناه منزلة الانسان وطبيعة صلاته بالمطلق والنسبي أو بما هو قدسي وما هو زمني ، فان تزايد التحديات التي يجابهها المسلمون اليوم يدعوهم جميعا ، وبخاصة منهم اولئك الذين جمعوا بين سعة الفكر وقوة الاشعاع ، الى الاقتناع بان الاشادة بأهمية الدور العظيم الذي قام به الاسلام في تصحيح مسار التاريخ بتحرير الكائن البشري مما يحبسه في طبيعته المعطاة أو يفتر شوقه الى مثله الاعلى لا يمثل الا بعض ما يفرضه واجب السعي الى ايقاظ وعي المسلمين لطبيعة المجاهدة الدائبة التي ينبغي أن تقوم عليها تجربتهم الدينية ومعاناتهم الوجودية ، والتي بها فوزهم بأفضل المصائر في الحياة والمعاد .

ذلك لان الاسهام في دعم الكيان الجملي وضمان دوامه وحركيته ، وهو من أهم غائيات العمل التربوي ، لا يتاح بمجرد الرغبة في الالمام بمقومات هذا الكيان أو بمجرد شعور الاعتزاز بالانتماء اليه ، بل انه يتطلب ، زيادة على ذلك ، بل بالخصوص ، عزما حقا على صرف الهمة الى معالجة قضاياه الراهنة

معالجة قوامها الملائمة العملية بين أصول الهوية الروحية والثقافية وخصوصياتها من ناحية ، وبين ملابسات الواقع الموضوعي وعوامل تطورها من ناحية ثانية .

ولعل أول ما يمكن استنتاجه من تحليل واقع المسلمين في هذا العصر الذي طغت فيه حضارة الاستهلاك واشتدت فيه حدة الصراع بين أنماط الايديلوجيات الغازية من كل صوب ، هو ان التفكير في صيرورة الاسلام ، معتقدا ونظاما للاجتماع ، يقتضي توجيه الجهد ، في دراسة التاريخ الاسلامي ، الى استجلاء علل الكوائن واستثمار تبريرها في ادراك جوهر الترابط بين السببية التاريخية والصيرورة التاريخية .

فينبغي ألا يفضي الحرص على فضح الاباطيل التي لم يزل يعمد الى ترويجها بعض التائهين في هوى التعصب العقدي والمذهبي ، وضعفة الراي بغية استصغار أمجاد الاسلام ومنجزاته ، الى الانشغال عن قضايا الحال والمآل - وهي كثيرة وبالغة التعقد - بدحض مزاعم الذين تنكبوا الحقيقة وجحدوا بما استيقنتهم أنفسهم .

فليس لهؤلاء من قوة البرهان ووضوح القصد ما يلزم الكثير من المتصدين الى كتابة التاريخ الاسلامي بالتمادي في توخي الاساليب الدفاعية التي تجعلهم ميالين الى تعداد مفاخر الحضارة الاسلامية دونما سعي جاد الى التعمق في توضيح متجهاتها الاصلية ، وتحليل أسباب ازدهارها في الاحقاب السالفة ، وعوامل الرائها في الحاضر والمستقبل .

ان مضمون الرسالة التاريخية غير منحصر في الماضي وحده لانه مستخلص من الشعور بضرورة الجمع بين الذكرى والاعتبار اي بين استقراء الواقع الماضي واستلهام العزم على ابتداع الواقع المنشود .

والقصد من بث هذه الرسالة لا يتمثل في اذكاء الحنين الى الغابر والاسف عما يكون قد اتسم به من جمال بقدر ما يتمثل في استنهاض الهمم لتجاوز ما يقعد عن بناء المصير بناء فيه من الوفاء لاعراق الذات والتوق الى الممكن ما يجعله شديد التماسك ، لا يتخشى رياح البدع .

لهذا ، تعتبر الرسالة التاريخية رسالة تربوية تتجه ، مباشرة ، الىالاجيال الطالعة لا فقط لتبين لها طبائع الاحوال بل لتبلغ اليها ، عبر ذلك ، رصيد القيم الخالدة التي ينبغي أن يظل الشوق اليها والحرص عليها مستمرين

باستمرار الزمان لانها « جماع الاسباب المكملة للانسان في عاجلته وآجلته » (1) .

وانما يقاس الفرق بين المؤرخ الراوي والمؤرخ المربي بمدى الاجتهاد في صوغ الرسالة التاريخية صوغا ييسر نفاذها الى أعماق الذات المدركة التي لا يهمها الموضوع المدرك أو بالاحرى استرجاع الوقائع الماضية بقدر ما يهمها تفهم السببية التاريخية واستثمارها في تعميق وعيها لمعنى الحياة وشرعية طموح الانسان الى حل الغاز الكون وتوسيع مجالات ابداعه فيه باعتباره كائنا يحمل في نفسه فكرة مصيره ويستطيع العمل على التحكم فيه .

ولما كان الانشغال بالمصير والحرص على تحمل مسؤوليات بنائه من أبرز مظاهر وعي المسلم الذي استخلفه الله في الارض . واستحثه على تغيير ما بنفسه ، وكرمه باقداره على ذلك فانه من غير المجدي ، من الوجهة التربوية خاصة . أن تكون الاحداث التي شهدها العالم الاسلامي في الاحقاب السالفة من تاريخه المرجع الاهم في صوغ مضمون الرسالة التاريخية الاسلامية لان هذه الرسالة لا تكتسب بعد مداها ، وعمق معناها من تلخيص الماضي أو تشخيصه بقدر ما تستمدهما من كنه القيم التي ندب اليها الاسلام منذ ظهوره . وأقام عليها نظامه الحضاري ، وجعلها محور العبادات والمعاملات على السواء .

فالذي يجدر التأكيد على أهميته ، في تأويل المعطيات والظواهر التاريخية هو أن وجهة التاريخ « لا ندركها من الالمام بنقطة واحدة في مجرى الزمن .. [بل] ندركها بشوط من أشواطه الطويلة يبتدىء وينتهي على علم منا ، وله بين بدايته ونهايته مسيرة مطروقة نعرف منها معالمها ومراحلها ، ونعرف من تلك المعالم والمراحل : هل هي وجهة متتابعة أو شتات من الخطى في كل اتجاه ... » (2)

ووجهة التاريخ التي « لم تخل من نكساتها في العصور المتطاولة بين ثورات الحرية وثورات الطغيان ، وبين دعوات التقدم ودعوات الرجعية

---

(1) أبو حيان التوحيدي ـ الامتاع والمؤانسة ، ج 2 ، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، بدون تاريخ ، ص : 83 .

(2) عباس محمود العقاد ـ القرن العشرين ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ ، ص : 92 .

والجمود على القديم ، وبين قلاقل الاضطراب فى انتظار الاستقرار » (3) هى خير ما يشهد على أن علاقة الانسان بالكون هى علاقة جدل مستديم لان هـذا الكائـن الذى يحس احساسا قويا بذاته ويجد فـى البحث عنها لم يقنع أبدا بالواقع الموجود ، ولم يـرض قط بالاستسلام لظواهر الطبيعة أو لمختلـف المصادفات والاعراض .

فعزمه الدائـب على بلوغ أقصى درجة ممكنة من تحقيق الممكن هـو الذى يعطى لتاريخه معناه الاحق ويفصح عن عارم رغبته فى اختيار أفعالـه ليكون اقدر فاقدر على التحكم فى مصيره .

ومن معانى الاختيار ، بل من أهمهـا ، أنه مفاضلـة بين شتـى الممكنات قوامها تدبر قيمها من خصائصها المميزة وأصولها وأبعادها ، وقبلتها ، نيـل الاحسن مما هو متاح بالفعل أو مما هو قابل للتحقيـق من مشاريـع الـذات الواعية وأهدافها العاجلة والآجلة .

وفى القول بأن التاريخ هـو تاريخ الانسان الذى يصنعـه ما يغنـى عـن الاسهاب فى تبريـر طاقة القيم علـى اذكاء جذوة الطموح فى تحقيـق الذات بشدها أولا الى أعراقها الضاربة فى أعمـاق الماضى ثم بدعم سيطرتهـا على الواقع الذى لا تفضى معرفته الا الى شحذ العزم على تجاوزه لاستبداله بالممكن الذى يصبو اليه الوعى ويرسم معالمه فى غمرة المعاناة الوجودية .

فالوعى هو سبيلنـا من الواقع الى الممكـن ، وعلة اقرارنا « بأن مثل مـا نعلمه من الكـون فى جانب ما نجهله منه كمثل قطرة واحدة من محيط خضم عميق ، ذلك لان كل باب جديد يفتحه العلم مـن دلائل عظمة الكون وامتـداده ينفتح معه أفق أوسع للسـؤال عما يتصل بهذا الميدان الجديد من المشاكل الكثيرة الغامضـة » (4) . وتتمثل أبرز مظاهـر الوعى وأهم تأثيراتـه علـى صعيدى التفكيـر والسلوك فـى طموح الذات طموحـا عفويا كليا الى الذات المطلقة المتعالية على الزمان والمكان أى فى شوقها الـى مثلها الاعلـى الذى تستوحيه من تجربتها الاخلاقية والروحية ومن راسخ عزمها على اختيار وجهة حياتها .

---

(3) نفس المصدر ، ص 99

(4) محمد عبد الله دراز ــ الدين ، الكويت ، دار العلم ، 1970 ، ص : 88 .

ولولا هذا الوعي لما تسنى لمكونات الشخصية الواحدة ان تتماسك وتتكامل بالقدر الذى يتيح لها أن تغدو بحق فعالية تستهدف التحرر من الغرائز والاهواء لتكون قادرة على الاسهام في اغناء الحضارة باعتبارها تجسيدا في الزمان للعبقرية الانسانية في تمام حيويتها وخصوبتها .

فعن الوعي تنشأ فكرة الايمان التى تحض الانسان على البحث عما يعطى طبيعته صورة خلقية لم تصاحب صورتها الحيوية،(البيولوجية) المعطاة ، وتنمى شعوره بالحاجة الى « اقامة شرعية تنظم ممكنات التحقيق بحيث تسمح في المثل العليا التى تصوغها ان تهيىء كل ذات أكبر قدر من الفرصة لتحقيق ما بها من ممكنات » (5) .

ومن أجل ايقاظ وعي الذات لمنزلتها في الوجود تولى النظم التربوية عامة أهمية بالغة لتعليم التاريخ ، وتسعى ، باستمرار ، الى اقناع المدرسين بوجوب الاستعاضة عن طرق التلقين السطحي والمذهبية Endoctrinement الظاهرة أو المستترة بطرائق ترغب المربي في اكتشاف الحقيقة التاريخية ، وتشده الى الكيان الجماعي الذى اليه ينتمي ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، وفيه يقوى على ممارسة حقوقه وواجباته ممارسة قوامها التوفيق بين حاجات الجسم ومطالب الروح ، وهدفها تحقيق ما فيه خير أمته وخير الانسانية قاطبة .

على ان الذى يمكن استنتاجه من استمرار جملة من الظواهر السلبية ، في أوساط الشباب خاصة ، مثل الانبتات ، والانبهار ببدع الايديولوجيات المتطرفة ، والميل المرضى الى العنف والانحلال الخلقي بشتى ضروبه هو ان مساهمة تعليم التاريخ في ايقاظ وعي الاجيال الطالعة لاهمية القيم ، والواجب التمسك بها لم تزل ضعيفة جدا رغم العناية الفائقة التى توليها النظم التربوية – على تباين فلسفتها – لبرامج تدريس التاريخ وغائياته .

ويعزى هذا الضعف ، في البعض من النظم التربوية ، الى تعمد المسؤولين فيها عن ضبط البرامج ومحتويات التعليم تشويه الحقائق التاريخية بنية تضخيم « أمجادهم » وابراز الشخصية القومية في الصورة التي تستهوى

(5) عبد الرحمان بدوى – هل يمكن قيام أخلاق وجودية ؟ القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1953 ، ص : 244 .

أطفالهم ومراهقيهم وتيسر اخضاعهم للاتجاهات السياسية المتولدة عن التعصب القومي او العقدي .

ولقد بينت بعض الدراسات التربوية والاجتماعية ان الاقدام على مثل هذا العمل الذى لا يرضاه الضمير ولا يستسيغه العقل قد ساعد ، الى حد كبير ، على انتشار ظاهرة الاستعمار وتغذية الاحقاد بين الكثير من الشعوب ، وافضى ، بالتالي ، الى عدد غير قليل من الحروب والمآسي والمحن .

ولئن كان من حق المربى المسلم الذى يحتفى ، كغيره من المسلمين فى المشرق والمغرب ، بحلول القرن الهجرى الجديد أن يعتز أيما اعتزاز بمقاومة الاسلام للكذب والدس والتعصب المقيت التى لم تنج منها بعض النظم التربوية خارج دار الاسلام ، فان عمق ايمانه وصادق بره بالشبيبة التى حمل مسؤولياتالمشاركة فى تخريجها على التعلق الواعى بالقيم الاسلامية الخالدة لا يجيزان له النظر الى النتائج التى يسفر عنها تعليم التاريخ ، فى الوقت الراهن ، بعين الارتياح والرضى ، ولا يسمحان له بالتمادى فى الانشغال عن استخلاص العبر من دروس التاريخ القديم والحديث بالسعى الى جمع أكثر ما يمكن من المعلومات قصد ترسيخها ، بالتلقين أو بالتحفيظ ، فى أذهان المتعلمين من النشء .

فلقد آن الاوان كى نسعى ، بالجد اللازم ، الى استنباط الطرائق الكفيلة بتيسير الرفع من درجة الجدوى التربوية فى تعليم التاريخ الاسلامى اذ ان طبيعة الطور الحاصل فى البنيات الاجتماعية داخل المحيط الاسلامى الأوسع واستمرار تيه العديد من بنات المسلمين وابنائهم فى متاهات البدع وأفلاك الضلالات يجسمان أفصح دليل ، لمن لم ينفكوا بحاجة الى ذلك ، على تقصير مؤسساتنا التعليمية أو على قصورها فى توجيه دروس التاريخ نحو دعم مناعة الشاب المسلم ، من الوجهتين الثقافية والروحية خاصة ، بتعميق تدبره لطبيعة أصالته ولمقتضيات التكيف فى المناخ الحضارى الكونى الذى يتطور بسرعة عجيبة .

والمرتجى من هذه الطرائق التى تشتد حاجتنا اليها يوما بعد يوم هو ان تستبدل النزعة الوعظية التقليدية بالحوار الخصيب مع الناشئة ، وأن تجعل من الاهتمام بما مضى سبيلا الى تنشيط التفكير الجماعى العقلانى فى قضايا العصر ، وفى أسباب تجاوز التحديات الكبيرة التى تهددنا فيه بانخرام التوازن النفسى وبما يترتب عنه لا محالة من ذهاب الرشاد ودبور الامر .

ونجاح الحوار بين الكهول والذين لم يبلغوا بعد سن الرشد متوقف على توفر جملة من الشروط لعل اهمها واوكدها أخذ اهتمامات الاطفال والمراهقين

وحاجاتهم النفسية وقدراتهم الذهنية بعين الاعتبار ، وتمكينهم من حق النقاش المشروع والتفكير الحر فى المسائل الدينيــة والدنيوية التــى تطرح عليهم داخل معاهد التعليم أو خارجها .

أمــا التوفيق الــى استغلال دروس التاريخ الاسلامى فى تشجيع التفكير النقدى الخلاق والنقاش الجماعى الجاد فهو رهين الاقتناع بضرورة الحرص على تطوير الفهم العاطفى لمعنى التاريخ الى فهم مستقبلى مستمد من صحــة التحليل وجاهة التأويل . فالنظــر المستقبلى الى مفهوم التاريخ يهدينا الــى سبل الاستفادة مما مضى لتحسين الحاضر وبناء المصير المأمول بينما يزين لنا النظر اليه مــن زاوية العاطفة وحدهــا استهلاك الحاضر فــى الماضــى بتسخير الجهد كله لتسجيل الوقائع والاحداث التى جــدت من قبل وتعــداد مظاهر المجد الذى بنته أيادى أجدادنا .

وليس أجدى فى تسخير التاريخ لخدمة الحاضر والمآل من النفاذ الى كنــه العلية التاريخية التى منها ننطلق فى ادراك الصيرورة التاريخيــة ، وعليهــا نقيم تحليلنــا لدور القيم فى دفع حركة التــاريخ وتحديد متجهاتــه وأبعــاده التربويــــة .

فاذا صح منا العزم على أن ننجح فى تربية ناشئتنا بواسطة تاريخنا الذى نعلمه لهم فى دروس الادب والحضارة والتربية الدينية والاجتماعية وغيرها ، وجب علينا ان نصــوغ لهم الرسالة التربوية صوغــا بيداغوجيا جديدا يوقظ فيهم الشوق الى المثل العليا التى هى ــ على الدوام ــ أصل الامجاد ، وذوب وصايا الاجداد ، وسبيل نجاة جميع العباد فى الحياة والمعاد ...

وهذا العمل الصعب الجليــل الذى نقترح تخصيص كامل العقد الاول من القرن الهجرى الجديد لمحاولة تحقيقه علــى اساس التعاون بين المؤسسات المختصة كرابطة العالم الاسلامى ، ومؤتمر العالم الاسلامى ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلــوم ، ومختلف الكليات ومعاهد البحث الموجودة فــى البلاد الاسلاميــة يمثل أوكد الواجبات التى يفرضهــا علينا التعلق الرشيــد بالوحدة الاسلامية ، والسهر الدائب على ضمان مناعتنا الروحية والثقافية .

ويحق لنا ، ونحن نشهد انبلاج فجر هذا القرن ، ان ندعو المختصين من أبناء الامة الاسلامية فى علوم التاريخ والدين والتربية والاجتماع وغيرها الى توحيد هممهم من أجل تحقيق هذا الحلم الكبير الذى ننتظر تجسيمه فى حيز الواقع لنقول لهم : انكم بالفعل سرج السواد الاعظم من الناس .

ابو القاسم العليوى

الاشراقـــات

شعر رانبو
تعريب : محسن بن حميدة

40 عبقرية

هِيَ المَوَدَّةُ وَالحَاضِرُ

إذْ أنَّهَا جَعَلَتِ الدَّارَ
مَفْتُوحَةً للشِّتَاءِ الزَّبَدِيِّ
وَلِضَجِيجِ الصَّيْفِ

هِيَ التِي صَفَّتِ المَشْرَبَ والمَأْكَلَ
وَهْيَ فِتْنَةُ الأمَاكِنِ الهَارِبَةِ
وَهْيَ لِلْمَحَطَّاتِ المُتْعَةُ فَوْقَ البَشَرِيَّةِ

هِيَ المَوَدَّةُ والمُسْتَقْبَلُ

وَالقُوَّةُ وَالحُبّ
اللَّذَانِ نَرَاهُمَا وَنَحْنُ وُقُوفٌ فِي
أَلْوَانِ الغَيْظِ وَالقَلَقِ

نَرَاهُمَا يَمُرَّانِ فِي سَمَاءِ العَاصِفَةِ
وَرَايَاتِ الإنْتِشَاءِ هِيَ الحُبّ
ذَلِكَ المِقْيَاسُ الأكْمَلُ المُخْتَرَعُ مِنْ جَدِيدٍ
ذَلِكَ العَقْلُ العَجِيبُ المُفَاجِىءُ
وَالأبَدِيَّةُ
تِلْكَ الآلَةُ المَحْبُوبَةُ للصِّفَاتِ المَحْتُومَةِ

لَقَدْ أصَابَنَا جَمِيعا

رُعْبُ امْتِيَازِهَا وَامْتِيَازِنَا
يَا مُتْعَةَ صِحَّتِنَا وَتَوْقَ مَدَارِكِنَا
وَمَحَبَّةَ أنَانِيَّةٍ وَعِشْقاً لَهَا
هِيَ الَّتِي تُحِبُّنَا لِحَيَاتِهَا اللانِهَائِيَّةِ ...
وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُهَا وَهْيَ تُسَافِرُ ..
وَإِنْ ذَهَبَتْ العِبَادَةُ العُظْمَى
دَقَّ .. دَقَّ وَعِنْدَهَا صَارِخاً :
دَعُوا هَذِهِ الخُرَافَاتِ
وَهَذِهِ الأجْسَادَ القَدِيمَةَ
وَهَذِهِ الحَيَوَاتِ المَنْزِلِيَّةَ
وَهَذِهِ الأعْمَارَ
إنَّ هَذَا العَهْدَ هُوَ الَّذِي قَضَى
إنَّهَا لَنْ قَدْ هَبَ
لَنْ تَنْزِلَ قَيْدَ سَمَاء
لَنْ تَقُومَ بِالتَّكْفِيرِ عَنْ غَضَبَاتِ النِّسَاءِ
عَنِ انْبِسَاطَاتِ الرِّجَالِ
عَنْ كُلِّ ذَلِكَ الإثْمِ
إذْ قَدْ قُضِيَ الأمْرُ مَادَامَتْ مَوْجُودَةً وَمَحْبُوبَةً
يَا ... أنْفَاسَهَا وَرُؤُوسَهَا وَسِبَاقَاتِهَا
يَا سُرْعَةَ كَمَالِ الأشْكَالِ وَالعَمَلِ
يَا لَقَاحَ الفِكْرِ وَرَحَابَةَ الكَوْنِ
جَسَدُهَا الإنْفِرَاجُ المُؤَمَّلُ
وَكَسْرُ الإمْتِنَانِ المَشْبُوكِ بِعُنْفٍ جَدِيدٍ

بَصَرُهَا .. بَصَرُهَا كُلُّ الرَّكُوعَاتِ القَدِيمَةِ
وَكُلُّ العَنَاءَاتِ المَرْفُوعَةِ إِثْرَهَا
يَوْمُهَا إِلغَاءُ جَمِيعِ الالامِ
الدَّاوِيَةِ المُتَحَرِّكَةِ
فِي مُوسِيقَى أَحَدٍ
خَطْوُهَا نُزُوحَاتٌ
أَفْظَعُ مِنَ الغَزَوَاتِ القَدِيمَةِ
يَالَهَا وَلَنَا !
الكِبْرِيَاءُ
أَكْثَرُ طِيبَةً مِنَ الصَّدَقَاتِ المَفْقُودَةِ
يَا ... دُنْيَا
وَالنَّشِيدُ الوَضَّاءُ لِلوَيْلاتِ الجَدِيدَةِ
لَقَدْ عَرَفَتْنَا جَمِيعاً
وَأَحَبَّتْنَا جَمِيعاً
وَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشِّتَائِيَّةِ
مِنْ رَأْسٍ إِلَى رَأْسٍ
مِنَ القُطْبِ الصَّاخِبِ إِلَى الحِضْنِ
مِنَ الجُمْهُورِ إِلَى الشَّاطِىءِ
مِن نَظَرَاتٍ إِلَى نَظَرَاتٍ
وَالقُوَى وَالأَحَاسِيسُ فِي فُتُورٍ
لِنُحْسِنْ نِدَاءَهَا وَرُؤْيَتَهَا وَطَرْدَهَا
وَتَحْتَ المَدِّ وَالجَزْرِ
وَفِي أَعْلَى صَحَارِي الثَّلْجِ
لِنُحْسِنْ تَتَبُّعَ بَصَرِهَا : وَأَنْفَاسِهَا وَجَسَدَهَا وَيَوْمَهَا
(يتبـع)

وبعد...؟

قصة : حياة بن الشيخ

التمثال يرمقه بعين ساخرة .. غاضبة .. غامضة الاسرار . نظرات حادة تشع بسطوة غريبة . تقدم خطوات وقد كان يود لو يولى الادبار . خطاه ترتعش ركز بصره مرة أخرى على التمثال القابع فى ركنه باباء مضحك ولئيم . صفعته سحنته البغيضة ومعالم القبح التى تكسوها . أحس بنفور وفى نفس الوقت بشعور حاد مؤلم يجذبه عنوة . يدفعه الى المحل ، مثل ذلك الشعور الاليم الذى يجتاحه كلما مر أمامه طيف أمه ووجهها المورد الحدين ، تسطع فى أفقه عينان زرقاوان صافيتان كمياه بحر بديع الموج .. والبسمة المستسلمة التى تلازم شفتيها سواء فى ساعات الفرح ، أو فى أشد لحظات التعب والنزاع العائلى . وفى خضم تلك البسمة الكسيرة المستسلمة ، وأمواج العينين الصافيتين يرتفع وجه داكن .. دميم تغزوه عينان حادتان تدلان على المكر والبطش ، وشفاه غليظة فيها شبق عنيف ، وعاصفة تحد على استعداد دائم للانطلاق ، هى صورة عشيقة أبيه .

تلك التى عرفت كيف تختطفه منهم بخبث نادر فلم يلمح له خيالا الى الابد ، مذ كان عمره لا يتجاوز السادسة ، ومذ ماتت أمه وهى غارقة فى يم بسمتها الكسيرة المستسلمة لتتركه لاحضان جدة عجوز دمرها الغضب والرغبة المستمرة فى الانتقام .

من يومها لم يبارحه ذاك الالم الخاطف الصاعق الذى ما فتىء يصعق قلبه من حين لآخر كتيار كهربائى قوى . يختلط بفكره القبح بالجمال .. الروعة بالدمامة .. نقاء العينين الصافيتين . بصفاقة الوجه الداكن ، الشبق الشفاه . عالم زاخر بالطلاسم والتساؤل والحيرة المفجعة . هل للدمامة جاذبية خاصة لا تلمحها النظرة المجردة .؟ ربما .. لكنه الى الآن لم يجد جوابا يشفى غليله .

غير أنه هو الآخر مندفع بغرائزه المنصهرة نحو أشياء غريبة .. رهيبة تؤسره تغريه وتعذبه فى نفس الوقت .

اقترب ثانية من المشهد المريع . شيخ زنجي كساحر افريقي من قبائل الفودو بطنه منتفخ يوشك على السقوط تحت قدميه . خداه متهدلان ، تتنازعان المساحة مع فم عريض كهوة سحيقة فى جبل منفرجة عن ضحكة متدهورة حاقدة كأن صاحبها يترنم بتعاويذ شريرة تأمل فى سحق ما حولها إله بوذى هو .. أم ؟

تجمدت حركاته أمام تلك الضحكة الحانقة الحاقدة . مرارة تنهال على صدره تنغمه بنيران هوجاء . ود أن يهرب . ينجو من سخرية الضحكة الحاقدة . لم يستطع . تسمر فى مكانه رغما عنه بقوة عجيبة . ربما القبح الغريب المسيطر على وجه التمثال هو الذى يشده . ربما تلك السخرية المريرة التى تلتهم سحنته السوداء المعفرة . لا يعرف . بل كل ما يدريه أنه مدفوع بقوى خفية نحوه . والالم يزداد عنفا فى قلبه . يبتره .

ركل حيرته خلفه ليدخل الى المحل . أشار بأصبع متمردة الى التمثال سائلا بصوت خافت : بكم ؟

ـ ثلاثون دينارا .. قالها بابتسامة تجارية غير محتكرة . كتم شهقة وعيناه ترتشقان فى التمثال الرهيب . كل ماضيه يبعث الرعب .. والنفور مع رغبة وحشية غريبة يجهل مصدرها .

ـ لكن الثمن جد باهظ ألا ترى ؟

ابتسم البائع وهو يحمل التمثال العجوز بين يديه ، ويربت على خده بحنان ساذج .

ـ أبدا يا سيدى .. هو قبيح الشكل نعم . لكن له جاذبية لا يملكها أجمل تمثال . القدامى يتباركون به . صورته المرعبة تطرد الارواح الخبيثة ، وتمنعها من الدخول الى المكان الذى هو به . ثم لك سأتنازل عن دينارين من ثمنه . لا بد أن أراعى ابن البلد .

مرة أخرى يريد أن يهرب . يفر منذاك الوجه الدميم المنفر . والبطن المنتفخ المتدلي الى أسفل القدمين . لكنه عاجز عن ذلك . يضع يده فى جيبه . يخرج منه الاوراق المطلوبة . آخر ما بقى له . يدسها فى يد البائع الجشع بلا مبالاة كئيبة . يأخذ التمثال العجوز وقد كفنه البائع فى لفائف من الورق الازرق . يضعه تحت ابطه . يخرج مهرولا قاصدا البيت وقد نسى أن يشترى الحذاء الذى كان يبغى ابتياعه .. والقميص .. ورباط العنق . نفذت النقود وبقى جيبه خاليا .

ابتسم حانقا . رباط عنق !! ماذا سيفعل به . يشنق به نفسه ، أم يخنق به تجار بلده الذين أشعلوا النار فى الاسعار وتركوه لا يستطيع أن يتحكم فى النقود القليلة التى لا تستقر فى محفظته حتى ترحل فى عجلة . قرر فى لحظة ثورة أن يترك رباط العنق الى اثرياء بلده ليختنقوا به ، مع البدل السوداء والقمصان الحريرية وحفلات الاستقبال اللامجدية التي تبدأ بخطب تملق ، وتنتهى بتودد يشبه الاستجداء . حسبه فخرا أنه اشترى إلها . إله ماذا ؟ لا داعى للمعرفة . لقد كثرت الآلهة كما كثر المتزعمون .. والساسة ، والقوادون فى هذا الزمن الفوضوى العجيب . الاحسن أن لا يعلم أى إله هذا وأية طائفة من الاديان يمثل . حتما هو يمثل ديانة الفزع .. واليأس .. والتلوث الفكرى . الديانة الحقيقية لعصر التمزق والانحطاط .

. . . .

قذفه بنظرة متهكمة : أبعثرت آخر ما بقى لك من نقود فى هذا الصنم القبيح ؟ يا للاشياء المنفرة التى تحيط بها نفسك !

الاشياء المنفرة !! يا للرجل التافه ألم يكتشف بعد أن الحياة كلها أصبحت منفرة ! كل ما فيها تعس . دميم . كريه الى النفس ، ألم يتفطن بعد الى ذلك ، أم تراه يتحايل على مواجهة الحقيقة كالجميع ؟

أحاط التمثال بذراعيه كأنه يخفيه عن خطر سيداهمه ، أو هو يحتمى به من خطر مفاجيء يمكن ان يغتالهما معا .

ارتمى فوق الاريكة القديمة باعياء وملل . جال ببصره فى ما حوله . داهمته غربة جاحدة دمرته . غريب هو فى دنيا لا يربطه بها أحد . ولا يشعر فيها بحب أو عطف أحد..مثل ذلك الاحساس الذى انتابه منذ أشهر وهو فى قاعة الدرس يحاول أن يرسم لوحة لغادة حسناء ، جالسة فى أيكة فاتنة الازهار ، فى يوم ربيع مشرق .

اكتشف بقنوط أن الالوان تستحيل رمادا بين أصابعه . وجوه مهولة تبزغ أمامه تحاول أن تخنقه . وعيون جاحظة نفاذة توشك على القفز من محاجرها ، تسبقها قرون مشهرة الى الاسفل محاولة تمزيق جسم ما .

صرخ أحدهم : ما هذا أشيطان أم ؟..

- هذا ليس بيوم ربيع مشرق ، انما يوم حالك الظلمة فى شتاء لم يخلق بعد كأن الطبيعة فى حداد .

لم يبق ليستمع الى همساتهم وضحكاتهم المتقطعة . انسحب فورا من القاعة لاعنا. شاتما. دخل الى غرفة المدير كزوبعة. أخذ ورقة. كتب عليها استقالته. القى بها فى وجه الكهل المندهش . هرع الى الخارج يجر خلفه تعاسة ممزوجـة بتخاذل مرير لم تبرحه مذ ارتكنت اليه فى لحظة غربة مقيتة الذكرى .

من يومها لم يعد الى ذاك المعهد اللعين . كل ما فيه يذكره بأشياء مؤلمة وتافهة لا يدرك حقا ما شأنها به أو مصدر مأتاها . لكن صورة الشيطان صاحب القرنين مازالت تلاحقه .. صدفة وباستغراب اكتشف انها تشبه صورة أبيه بشنبـه الكثيف .. وعينيه المخمورتين الكبيرتين . ومحياه الذى انسحقت شخصيته يخشى لو عاد ان يجده متمركزا فى القاعة وحينئذ مـا عليه الا أن يقتلـه . يحطمه . يحطم .

راح يومها يجوب الازقة المتسخة وقد تملكه مرح صبيانى ما عرف ثراه وهو صبى يافع . أخذ يسير الهوينا وقد خامرته فكرة . لم لا يعد الحفر . يحصي كم قطة تتسكع بين أكداس الزبالة ؟

عد . عد الى أن مل العد . الازقة . والحفر . والقطط . أعظم شىء مقدس فى هذا البلد . وأوفر ما فيه ، لا يمكن حصره . ولا عده . ولا وسقه أو تصديره . ضحك منه شيخ ثرى التجاعيد . حاول أن يواصل عده دون اكتراث له . لكن مع مواء قط رمادى يبول فوق حطام دجاجة ميتة ، أحس انه يجب أن يفعـل شيئا . الزقاق شبه خال الا من بعض الاطفال الملطخى الوجوه بالغبار .

الحفر .. القط الرمادى الشامخ وأكراس القمامة . جذب الشيخ من شعره المشعث . نفحه بسخاء عدة صفعات على الوجه الممصوص كأنه لحم مقدد عشر صفعات بلا زيادة أو نقصان . عدها كما عد الازقة والقطط . حشر رأسه وسط حفرة متربة . واصل طريقه والجسم خلفه يرتعش بهلع صامت . ألجمه الخوف. لاحقته أحجار تجرأ على القائها الاطفال فى محاولة انتقام ساذجة . لكنه واصل طريقه دون التفات .. وشنب الشيخ بشعيراته البيضاء ينغرز فى صدره يعيده الى ذكرى يود أن ينساها ولم يقدر بعد على نسيانها .

دخل مقهى . أخذ كأس وسكي . شعر ان المرارة والتفاهة تغزوان الجو . الخمر .. الرقص .. السينما .. والتجوال فى ملاهى المدينة الراكدة .. والجنون لا شىء يفرج ضيقه ويريحه من القلق المستكين فى صدره . كأس . وأخرى .

مرارة . ودوار . دوار وتعس متراكم لا يترك له متنفسا . ألقى بالكأس فوق المائدة وأسرع بالهروب .

ذهب لتوه الى المقبرة . منذ سنين أصبح مكانه المفضل هو المقبرة . جلس فوق قبر نصف متهدم خمن أنه لانسان غريب مثله . أو لشخص نسيه أهله .. كقبر أمه الضائع بين قبور القرية النائية . القرية التى فر منها من سنين خلت ولم يعد اليها أبدا .

لأول مرة يشعر براحة كأن يدا رحيمة مسحت عليه ، وسكبت بلسما شافيا على صدره . القبور البيضاء ترمقه بصمت ، مستسلمة لسباتها الابدى ، تجذبه اليها باغراء أصم . تبخرت حسرة من مهجته ترثى شبح سعادة مفقودة ما وجدت يوما .

تذكر النظرات الشزراء التى لوحت قبالته فى معرض رسمه الاخير . نظرات متنمرة حائرة بين التهكم والدهشة مع مسحة ترفع لم يحتمله رغم ما جاهد فى ذلك .

كانت اللوحة الاولى مملوءة بالتوابيت السوداء محلقة فى الفضاء ، والارض تحتها تحترق . حريق . حريق . فى كل شبر من الثرى الجاف .

هرب الجميع منها لينكبوا على أخرى . كانت تمثل فيضانات مزمجرة . الارض تغزوها المياه وعشرات الجثث لطيور ميتة ملقاة فوقها فى انكسار ساحق .

هرعوا مصعوقين الى أخرى ، الصورة الثالثة كانت لطفلة عجفاء ، بارزة العظام .. غائمة العينين تنتظر حدثا ما . وبطنها مبقورة تنز دما يسقى سنابل القمح المنكسر تحت قدميها بذل مشاكس .

تابع تنقلات الزائرين بعقل شارد .. وشعور الغربة يستوطن نفسه أكثر من ذى قبل أدرك أنه ليس مثلهم . ولا يستطيع أن يصبح مثلهم وليس الذنب ذنبه .. ربما فضلوا أن يشاهدوا لوحة تمثل امرأة عارية فى تبجح وقح . أو صورة اعلان عن زجاجة عطر ، أو صالون فاخر بمئات الدينارات ، يشاهدونه على الشاشة فقط ، ولكن لن يقدروا يوما على شرائه ، أو امتلاكه اذ لم يصنع لهم ، انما صنع لاكابر القوم ، والمرتزقة الذين يعرفون كيف ومن أين تكسب الاموال الفاحشة .

' السذاجة . السطحية . يا للهول ! ود لو يرتمى على أحدهم . ينهال عليه ضربا حتى يعيد اليه وعيه ، أو يكسر رأسه . يدمره . هذا ما بات

يتوق اليه ولا يفتأ يحلم به ليلا . نهارا . الرؤوس العقيمة التفكير مصيرها التحطيم . هذا هو العدل . لكن أين هو العدل الفاني ..؟

صكت أذنيه همسة فتاة كثيبة المحيا وهي تقف أمام لوحة : يا للروعة .!
عاد ذلك الدوار القديم يملك حواسه . تقدم منها . يمامة جريحة . مقطوعة الرأس ، قابعة فوق أنقاض جدار بيت متهدم . بندقية مصوبة نحوها ترقب لحظة الانطلاق .. والكل يرزح وسط غلالة دموع منهمرة من أعين خفية لا تنفك تهطل غيثا .

.. رائعة . لم أر أكثر منها تعبيرا وحساسية ..

كاد يحتضنها أمام الجميع . يتحدى بها العيون المتهكمة ، المتسائلة . يضع رأسه المتعب فوق صدرها ويبكي ذكريات طفولة حزينة غابرة ولت مع الزمن المتقهقر لم تبق طافية على السطح كما فعل الآخرون ، بل غاصت معه في الاعماق . جذبها القاع فنزلت اليه بلا وجل . والتقت به هناك .

التقينا بعد عناء وجهد طويلين . أفعم صدره بنور عينيها وقد كانتا زرقاوين صافيتين مع بسمة على الثغر كسيرة . كسيرة .

عاد ومشاعر زاخرة تتمخض داخله . اتفقا على اللقاء كي يقدم لها كهدية لوحة : اليمامة الجريحة .

لكنهما لم يتقابلا الا في المقبرة . وقد قررت في ثورة حكمة أن تضع حدا للتعود ، واستمرارية الدنى السخيفة .

أخيرا وجدت اليمامة الجريحة مستقرا . بقى هو لم يجد الى الآن مستقرا ، والدرب مسدود . والصراع طويل . طويل مع الزمن . واللانهاية مخيفة ومهولة .. وهذه الحياة التي تدور بنا دون عسر أو اجهاد حاملة معها عثرات المتخاذلين . ووثبات المرتزقة . ونكسات المنكوبين حقا ليس من الصعب أن نسير مع الحياة دون رغبة أو ادراك ، انما من العسير أن نواكبها . ونعيشها بروح متحفزة .. ساعية ونتتبع زحفها دون كلل أو ارهاق . التعب والارهاق والطموح القاحل .

....

« ألا تؤمن بالله ؟ »

قهقه ضاحكا وأفكار عربيدة تزمجر برأسه . عجبا ! لم يجرب أن يؤمن بشيء . لم يحاول ذلك قط . أو هو يتذكر أنه حاول مرة . كانت صدفة أنه

آمن بأقوال ظن ساعتها أنها ستفعل من أجله المستحيل . لكن بعد زمن وجيز تغيرت الامور . ألقى بالكل خلفه فجأة . كما حدث الامر صدفة . ومن يومها لم يحاول . لعل الله في مكان ما بعيدا عن الارض والسماء . انزوى يائسا كي لا يرى هزائم العرب ونزاعاتهم .

قصد أول حانة صادفته وبقي يحتسي الخمر ويدخن الى الصباح . أغرق تساؤله . وإيمانه . وجهله . وحكمته وفشله في كؤوس انتزعت منه وعيه وبعض .. بعض من نفسه . وأعادت له نفسه وبعض . بعض من وعيه .

....

عاد صوت صديقه يلح في تشريح فكره المشوش :

« أبعثرت آخر ما لديك من نقود ونسيت أننا لم ندفع بعد أجرة الشقة ولم يعد لدينا ما نكمل به الشهر !؟ يا للوجوه المخيفة التي تحيط بها نفسك! حتى هذه اللوحات من سيشتريها ؟ عي لا تمثل الا الموت والفـزع . تبعث الهول فـي النفوس . أنت تنفر الناس منك . ربمـا أصبحت هـذه هوايتك الوحيدة أن تثير القرف والذعر . »

عادت رغبة الضحك المكبوتة تنفجر رغما عنه يضحك ممن ؟ لم يجـد بعد الجواب لذلك . من الاعين الحائرة المتسائلة . وهي ترمقه خفية . من الهمسات السخيفة التي تسبقه أينما حل .. من الاقاويل ، والحكايـات الغريبة التي يلصقونها خلف ظهره .. لكنه يتحداهم بضحكة مستهترة .. متحدية لا تخلو من مرارة ونصيب وافر من الالم . « لقد فكرت طويلا واهتديت لحل مشكلتنا، بل مشكلتك أنت على الخصوص . وجدت سبيل الخلاص من أزمتك النفسيـة هـذه .. »

صرخ فزعا مستنكرا : « أزمة نفسية !! من قال لك : إني أعاني أزمة نفسية أيها المخرف ؟. »

« ماذا أتجهل ما تعانيه ؟ ألا ترى أنك تتخبط في مضيق أزمة حادة ؟ وهذا الصراع سيمزقك عاجلا أو آجلا .. أنت ضائع ولن تجد طريقك إلا عندما تجد لك في الحياة مبدأ . لا تؤمن بنظم معينة . لا تنتمي لاى حـزب . ولا تسانـد أية قضية .. ذاك سر تشتتك .. لم لا تنضم الى احدى المنظمات الفدائية . مثلا تكرس حياتك للقضاء على الصهيونية والذود عن حرية العرب ؟ لقد جاءتني اليوم رسالة من صديقنا أحمد يخبرني أنه انضم الى القوات الفـدائية ولكم سعدت بهذا النبأ .! طريق واضح ومعقول أحسن من الفراغ الذى تتردى فيه . ان كان على فقد تطوعت وعرفت أخيرا دربي . ما رأيك ؟

قضية .. صهيونية .. أأنت تهذى أم ماذا ؟ أم هذه آخر دعابة التقطتها . من أى ماخور استمعت اليها ؟ ألم تعلم بعد أن العالم انسحق . وانحلت شخصيته . وماتت كل القضايا .. ماتت كل القضايا .. الحرب .. الكفاح .. الحرية .. الانسان .. وتطاحن الاحزاب المختلفة الاغراض باعلانات السينما . يا للمهزلة السخيفة .! طريق واضح ومعقول !! وهل بقى ما هو واضح ومعقول فى هذا العالم المعقد ؟ الوضوح والمعقول لا يلتقيان . لو التقيا حتما يكون ذلك فوق ربوة اللامعقول .. الوجود كله ما هو سوى لغز بعيد .. بعيد عن المعقول. طريق النهاية . الموت وحده الطريق الواضح والمعقول فى كل زمان ومكان .. لم لا يقرون بهذا الامر وحسب النفوس المعذبة جدالا .

لقد كثر الحديث عن الله هذه الايام .. واللهث خلف المواعظ .. والتدين الزائف .. كما كثر الحديث عن الحرب .. والنضال .. والغذاء والتضحية .. والقضايا المرتقة الاحداث .. والكلام الذى أمسى تجارة مكسبة .. والوضاح الذى غدا غموضا .. واجتمع أيوب بنوح .. ودقت طبول الفرح فى ديار سليمان .. ودار لقمان على حالها والقيد باق والطواشى صبيح . فلتصل بالقوم يا امام الاباطيل فالرعاع كثر ومسجد الترهات رحيب ، رحيب .. واللعنة على المستيقظ ، انما النائم ...

أشعل سجارة . وعاد يرنو الى التمثال اواقف بشموخ فوق المائدة بحب مباغت وقد ازداد وجهه قبحا ، وامتلأت نظراته بعتمة رهيبة . عاودته نوبة الضحك .

« اذن أيها البطل ، أنت بجبنك وخوفك ستصبح مناضلا . كيف ستواجه الموت وأنت تخشى النظر اليه من خلال لوحة زيتية ؟ »

« لا يخيفنى الموت ان كان من أجل مبدأ . من أجل قضية أؤمن بها . لابد من تضحية ان كانت الغاية نبيلة ومصيرية ألا تفهم ذلك ؟ عن ماذا تبحث؟»

« زجاجة الوسكى . لقد بقيت فيها قطرات . لا بأس ، سأتسلى بارتشافها بينما تتسلى أنت بعرض مواهبك الفدائية الجديدة أمامى . لكن خذ هذه للذكرى . ليست الصهيونية عدونا الاول . بل هناك أعداء أخطر منها بكثير.. الرجعية .. الامبراطورية .. الرأسمالية وهات من المخلفات البائدة دون حصر ، الى أن تجتاز الطريق الشاق وتطهره تكون قوامك قد انكسرت دون أن تبدأ الزحف نحو العدو الاخير . حلقة مفرغة . حالكة ورهيبة تدور فيها .. لقد تشوهت كل القضايا فى هذا الزمن الدنس الذى أحرقته الفضايا .

غير قضية واحدة تعيد العدل أم تخنقه . وعى كامل .. أم انتحار . أمتع نهاية للتذبذب البشرى المريع .. انتحار أم وعى أيهما أريح اختر بينهما . !؟

« أنت انسان فوضوى ضائع خذلك اليأس . وعبثت بك المعاناة . حقا أعقل قضية يمكن أن تهتم بها هى الانتحار . تأكدت الآن أنه لا ينقصك الايمـــان فحسب ، بل العقل كذلك .. »

القى بالزجاجة على الحائط . انكسرت وسال ما بها كجرح اليمامة النازف الجاثمة فوق الانقاض منتظرة حكم الاقدار بصبر فذ ، والبنـدقية مـا زالت مصوبة نحوها لا تنطلق ..

« هل تؤمـن بما تقول أيهـا المغفل ؟ ألا تـرى أنك أنت الآخر تراود منفـذا للخلاص .؟ أنت ضائع مثلى وتافه تبحث عن طريقة مثلى تعطى بها لنفسك أهمية أنت برىء منها . تريد ارتداء كساء بطولة أنت أول من تشك فى وجودهـا . النضال .. الايمان يا للدعابة المرة ! أنا الذى أؤمن به هو الفقر .. الخوف . الالم . الظلم . الخداع . الاستغلال . الدناءة .. القذارة .. هؤلاء هم أعدائى أؤمن بوجودهم ، وأؤمن كذلك أن لاقضاء عليهم ما دام الناس عقدوا العزم على السير فى درب غيهم الى ما لا نهاية .. »

« كنت أحسبك رجل فن . فاذا أنت مجرد انهزامى حقير . انهزامى حقيـر حقير ... »

انتصب واقفا وهو يرتعد هلعا . تمزق بصره لحظة بينه وبين التمثـال . رشقه هذا الاخير ببسمة ساخرة مدمرة . انقلبت الغرفة الى بحيرة دماء متلاطمة أنعباب .. والجدران الى قوارب خالية ترقب صيادا غائبا .. وعشرات التوابيت تحلق فى الفضاء المغيم ، وجثث العصافير الميتة تطفو راقصة على دبكة الموج الثائر .

تمتد يده نحو التمثال . يتشبث به . تنغرز الكلمات مرة أخرى فى كبده : انهزامى حقير . حقير .. يرفع يده يهوى بها على رأس الفتى الوقح المنتصب قبالته فى هلع . يسقط على الارض صريعا يتخبط فى اليم القانى اللون .

يلقى بالتمثال البرنزى على الارض . والبسمة الساخرة لا تفارق شفتيه . يلتقفه الجدار . يرتطم بالاجسام المحنطة لحيوانات كاسرة . ترمقه باستخفاف مذعور . كل ما حوله محنط . ميت . متجمـد . الفنـاء يحـاصره ، الجميـع ينصحونه ، يلحون عليه كى ينضم الى حـرب ما الى جبهـة ما . يحـارب من أجل قضيـة الى أن يستشهد .. لم يعد يعرف أهـو مجنون أم هم مجانيـن ، يتشدقون بأقوال لا يفهمونها . يتشبثون بالاوهام ، مستعد هو أن يـراهن

بحياته ، وبالموت حرقا لو تحققت . الطريق الواضح والمعقول تركوه خلفهم واستطابوا السير فى كهف الضلال .. والسفينة تكاد تغرق بنوح .. وأيوب نفد صبره .. والسماء ما عادت تبيض المعجزات . وما بقيت تتمخض الا عن الروابع الملغمة .. لا فض فوك يا من قلت يوما : طظ .. فطظ ، وألف طظ يا زمن الهذيان ، والتخريف الاهوج ..

ها هو الزمن لا ينفك يلقى بقاذورات فوق رأسه الموجع . والحصار يزداد تعنتا . وهو ضائع بين المصائب والجثث .. صعق فكره شبه تيار كهربائى ماذا ؟ تذكر غانية الامس الملتهبة البشرة . لقد تركها ملقاة فوق الفراش الوثير كقيثارة متحطمة .. ربما كانت نائمة .. أو فى غيبوبة من أثر اللذة التى نهبتها منه عنوة .

لم يقترف جرما ، انما ترك أصابعه تتلهى بعنقها الاسمر كقطعة لحم مشوى.. وقد لفه فى الوشاح الاحمر الحريرى وأخذ يضغط ضاحكا ، بنشوة غريبة لم يشعر بها من قبل ، بينما كانت قدماها تتسللان بجرأة لا مبالية الى ما بين فخذيه .. سقطت فوق الفراش باعياء والبسمة الضالة لا تفارق شفتيها الغليظتين . ارتدى ثيابه وأسرع بالخروج من البيت الانيق لا يلوى على شىء ، وإحساس يتضخم فى صدره يقول له : إنه لم يقترف ذنبا ، غير أنه أراد أن يسلب منها متعة كما نهبت هى منه غصبا لذة .

كان قد تعرف عليها صدفة ، اصطدم بها وهو يزمع على الفرار من مقهى بعد أن عذبه القلق . ابتسمت وهى ترنو اليه بجسارة وقحة احتدمت لها دماؤه . تراقصت السجارة المذهبة الطرف لحظة فى ظلال الشفاه السمر ..

« أأنت حالم أم متعب أم كلاهما يا ترى ؟ كدت تلقى بى على الرصيف » . صفعها بنظرة منكرة وقد تمنى لو حقا ألقى بها على الرصيف كحشرة . يدوسها بنعليه . يدوس الى أن ..

جذبته من ذراعه لتسير به نحو السيارة الحمراء المستلقية قرب الرصيف . تبعها بذل أخرس .

ضمهما السرير . أضرمت سمرتها الافريقية الغامضة ، الجمرات المختفية تحت رماد السنين . لم يقل شيئا ، اذ لم يعرف ماذا عليه أن يقول . انما عب من النبيذ الفاخر ما استطاع . تركها تتكلم بلا انقطاع . ارتكزت نظراته على صورة شيخ برأس أصلع وشنبت غزير مقوس كمنجل استعد لخوض معركة الحصاد .

عانقته بدلال مصطنع ورغبة جائعة لم ترق له اباحيتها تستعر فى جسدها الثائر بين يديه .

« ذاك زوجى . مات منذ ثلاث سنين بسكتة قلبية . ثرى كريم ، وغيور مشاكس سامنى الويل .. له طفلة من الزوجة الاولى . أنا الزوجة الثانية ...» كتم أنفاسها بقبلة حتى تصمت . تكف عن الهذيان وترحمه ، أخذ يعض ذلك الفم النهم الى أن صرخت ألما . أخذت تجذب شعره بوحشية ملحدة . لف الوشاح الاحمر الحريرى وضغط مقهقها .. وضاع العالم فى حرارة الجسد الاسمر .. ومن لحظتها والافق حوله قد امتلأ بالشفاه الشبقة وهى تلاحقه .. تراود شيئا مجهولا .

لكنه متأكد أنها لم تمت . كان يريد فقط أن يمنعها من الكلام . يمنعها عن طعنه . لا يتركها تحصد سنابل أيامه بمنجل الشنب الغزير .. حتما لو ذهب اليها الآن لوجدها فى انتظاره برغبتها المجنونة التى أذهلته . متأكد هو من ذلك أم .. أوه .. تواطأ الزمن مع البشر على القاء قاذوراتهم ومصائبهم فوق رأسه . لكنه لن يتقبل ذلك صامتا فطظ للجميع . وطظ للاحداث التى أخذ يدور فى حلبتها دون أن يفهم حقيقة ما يجرى .. ولا عرف الى أين هو سائر ..؟

على كل . عرف أم جهل أمره دار لقمان ستظل على حالها ولا من طائل خلف الهذيان ، ولا خلف الظلال السمر .. لا .

....

تقذف به قدماه الى الخارج . يصطدم على السلم بكتلة آدمية غير مرتقبه . يتلثم قائلا كأن مجهولا طلب منه أن يبرر سبب وجوده فـى ذاك المكـان : « كنت آتيا اليك . لى حديث هام معك بأمر .. »

تموت الاحرف فوق شفتيه وهو يرمق اليدين الملطختين بالدم ترتعشان أمامه بجرأة مشاكسة .

يتململ سؤال فى فمه المغلق .. من هو هذا المتطفل ؟ أين رآه ؟ كأنه يعرفه، تذكر فجأة هو ذاك الصحفى المغرور الذى زاره أول يوم معرضه . نظرة خاطفة على الالواح ، ثم راح فى الغد يتلاعب بكلمات عرجاء لم تجد بعد مكانها فى دنيا النقد ولا فى جو المعرفة والوعى .. تشاؤم وانهزامية بائسة .. هذا مـا خرج به من زيارته الخاطفة . نظرية معدومة . حكم عاجز . وسطحية سقيمة تسحق الالهام . تمنى ساعتها أن يذهب اليه . يدق عنقه . يعيد الكلـمـات

الخاطئة المغشوشة الى حلقه . يخنقه بها .. لكنه عدل عن رأيه . وقرر أن يتحداه بالصمت . بل يتحدى الجميع بالصمت . لن يعطى لاحد أهمية هو مجرد منها . ليقل ذلك الاحمق ما يريد . وبعد .. لا شيء يهم فى زمن الترهات .. والافكار المنهوكة .. لا شيء يهم .

يدعى أنه آت اليه فى أمر هام .. يا للعجب .! سطحية نظرية . غباء .. وكذب غير مستتر .. متأكد هو أنه لم يكن آتيا اليه ، ولا حديث يجمعهما .. حتما لقد جاء لزيارة تلك الراقصة العاهر التى أصبحت جارته منذ أشهر . نصف عدد الرجال الذين يتسللون الى العمارة فى تستر ساذج وركيك هم من زوارها . العهر هو الذى يجذبهم لاالفن الاوحال غدت تغرى بالسباحة أكثر من المياه الفيروزية . شذوذ .. تطور .. نزوح جذاب الى الوراء .. وعشوائية قد أرست قلاعها واحتلت كل المرافىء .. والمواجهة صعبة تتطلب شجاعة وصراحة أمران اختل توازنهما مذ تجلت الحقيقة بوجوه عدة .. والنكوص سليم .. لكنه أحيانا سيء العواقب ..

رغبة صارمة فى التدمير تنتابه مرة أخرى . وميض فتاك يخرق غشاء افكاره كبرق خاطف . ببطء محكم مثير تمتد يداه الى العنق النحيل التمرد على رباط العنق البنى اللون . يضغط . يضغط انثنى ثانية بنظرات الفزع المنطلقة من العينين المتسائلتين .. تخبط الجسد بين يديه الفولاذيتين . ركله فى بطنه . حاول أن يغرس أصابعه فى عينيه . لكن الضغط كان أشد .. حركاته تتراخى أنفاسه تكتم . يختنق . يتدحرج على الثرى يشتم آخر خطاياه .

يجذب الجسم الفاقد الحركة . يخفيه عن الاعين خلف صفيحة القمامة فى زاوية السلم المظلمة . يمسح يديه فى سترته . يسارع بالقفز الى الشارع يعب من الهواء الطلق بقدر ما تتحمل رئتاه .

الى المقبرة يعدو . يرتمى ككل مرة فوق القبر الابيض اليتيم . ويجهش بالبكاء أحس فجأة أنه ضاع . فقد خطاه . هجر دنيا ما كان يجوز له أن يهجرها . ودخل دنيا ما فكر أبدا فى اللجوء اليها .. منذ سنوات وهو لا يفهم حقيقة ما يجول حوله . لا يعرف من نفسه سوى أنه متعب . متعب . متعب . والكل حوله يزيد فى تعبه وعنائه . تعب . وارهاق لا عدنة لهما .

والآن خلفه ضحيتان يدفعانه الى الهاوية . لم كان كل ذلك ؟ لماذا ؟ ما فكر قط أن يفعل ما فعل ، لم يحرك يديه ليقتل .. ولكنه قتل . حطم . وما زالت شعلة رغبته مشتعلة للسحق .. انهزامى حقير .. ها هو الآن أصبح قاتلا بالصدفة .. أم هو قاتل عن عمد ؟ برحه التساؤل دون جدوى .

لم يشعر بتلك الطمأنينة التى كانت تغمره قبلا حينما يهرع الى عالم الاموات لاجئا ، فى ظرف ساعات سلب منه كل شىء حتى نشوة الراحة البسيطة .

القبور تتحول الى آلاف البنادق مشهرة نحوه بحقد فاحش ، فر من المقبرة وصهيل الرصاص يصم أذنيه .. الرصاص والدم والفزع .. وآثار طفولة قلقة انقضت بين اليتم والفقر ، وبقايا شباب مداس تحت أقدام الصراع والجحود .. وجنون يستفحل مع التفاهات المتكررة .. وزمن سفاح لا ينقضى .

عاد الى البيت وقد تورمت رجلاه . وهده التعب . أمام العمارة زحام . وبعض عجائز يتهامسن بشأن قتيل وجد خلف صفيحة القمامة . يدفعهن بلا مبالاة يسرع بالصعود الى شقته والاحساس المؤلم يرفع راياته بقلبه .

....

الجثة ما زالت ملقاة على الارض غارقة فى بركة الدماء المتجمدة . تلطم أنفه رائحة الموت . الاله الدميم الوجه ما زال يرمقه بسخرية مشاكسة . وحيوانات كأسرة محنطة تبتسم فى تهكم شنيع وهو كأنه فى بيداء تلتهمه الانواء .. الموت أمامه . والجنون خلفه .. وهمسات العجائز فى الشارع لا تترك له فرصة التفكير .

يقفز الى المطبخ . يأخذ سكينا . يعود بها الى الغرفة التى أضحت مهدا للموت والوحوش المحنطة . ترتعش يداه لحظة .. ثم تتماسكان . تنغرز السكين فى بطنه فى ضربة مباغتة . ألم حاد ينقض عليه . يسقط فوق بركة الدم المتجمد . وقد كان يود أن يهرع الى الخارج . يقف على ناصية الشارع . يصرخ عاليا حتى يسمعه جميع المتسكعين . يقول لهم : إنه ما كان يوما انهزاميا .. ولا حقيرا .. ففى صدره براكين ملتهبة من الفداء والتضحية .. وعزم وحماس لا يطفىء لظاهما ولا الموت .. لكن ما بالتمنى والحماس المتهور تحل القضايا .. ولا بدبلج القول تكسب الحروف .. لكن الصرخة مصيرها الاسر . تظل مسجونة بين الجثث . علامة استفهام حائرة بين عالمين لن تجد من يحل طلاسمها .

يتصارع ثوانى مع الحياة التى تحاول رغما أن تتمسك به . تطوقه بأغلال اللانهاية . تزج به مع قطيع المعتاد وضحايا الاستمرارية . يحاول أن يبتسم . تشنق البسمة فوق شفتيه . دوامة مفزعة يغوص فى دياجيرها . ظلام وفراغ .. ودموع حارة تنهمر من عنق اليمامة الجريحة .. تستقر التوابيت فوق قمة جبل ما فى السماء الشبهاء .. وبعد .. لا شىء استقرار .. وراحة رحيمة . لذيذة . لذيذة .

حياة بن الشيخ

الظلم مُرّ..

شعر : عبدالله الزناد

كان لكسرى ولد ذكى   مهذب الاخلاق ألمعى
علمه من كل فن احسنه   حتى وعاه فكره وأتقنه
واختار استاذا عظيم الشان   بالوعى والتبريز فى العرفان
فلم يقصر فى جلاء الدرس   بل يبذل الجهد بدون قيس
واستوعب الصبى كل حكمه   حتى استطاع ان يزيد علمه
وكان كسرى معجبا بالدرس   مكرما للشيخ دون لبس
حتى استقام للفتى التثقيف   فهو المربى الحاذق اللطيف
وذات يوم جاءه الاستاذ   منفعلا وماله ملاذ
اوسعه ضربا وشتما وانبرى   فى العنف دون ما ذنب جرى
مضى كئيبا باكيا ذليلا   الى ابيه لاجئا كليلا
انبه الوالد دون بحث   وقال : شيخ ماله من خبث
اسرها التلميذ واستقرا   يراقب الاحداث كيف تجرى

★ ★ ★

وذات يوم نزل الحمام   وغاب كسرى لفه الظلام
وورث العرش ولى العهد   يصرف الامر به ويبدى
لم ينس ذاك الشيخ من حسابه   وما جرى بالامس من عقابه
احضره واضمر انتقامه   وقال: بئس ماانزلت من ظلامه
قال : نعم يا ايها الامير   قصدت درسا نيله خطير
علمت ان الامر سوف يغدو   اليك طوعا ما له مرد
علمتك الظلم وما عساه   ينغص الضمير يا فتاه
انى اراك ناقما تنادى   بشيخك الفانى الى الجلاد
فاليوم درسى اثمر الجزيلا   وكان درسا رائدا جميلا

قال : صدقت أيها الحكيم   فهمت ما تعنيه يا عظيم
فانت فى بلاطى الوزير   يا حبذا استاذى المشير
فاعتبروا يا ايها الظلام   واخشوا جحيما نارها ضرام

العلامة عبد الحميد بن باديس في تونس

بقلم : محمد صالح الجابري

(3) — (*)

ان هذا التعاطف والتساند هو الذى جعل الجمعية الزيتونية وأعضاء مجلتها يسارعان الى الاحتفاء بمقدم الشيخ ، ويولون حضوره أهمية خاصة . وقد شجع هذا الاستقبال الأخوى الحار بن باديس على التردد على تونس مرتين أخريين ، فى المناسبات التى كان يرى فيها وجوب تعزيز التضامن بين أبناء الأمة الواحدة ، ودعم اللحمة والتقارب ، فزار تونس للمرة الثانية فى شهر جوان 1937 بمناسبة ذكرى البشير صفر أستاذه الذى درس عليه التاريخ والمثل الوطنية ، وقد أقيمت هذه الذكرى فى الجمعية الخلدونية التى كان المحتفى بذكراه أول حافظ لها .

وأثناء اقامته هذه كان الشيخ بن باديس محل حفاوة بالغة ، فدعى لالقاء محاضرة بقصر الجمعيات الفرنسية تحت اشراف كل من جمعية الطلبة الجزائريين ، والجمعية الودادية الجزائرية بتونس . وكما جاء فى الصحافة الصادرة آنذاك والتى تابعت نشاط الشيخ عن كثب ، فقد تصدر بن باديس مسرح قصر الجمعيات وعلى يمينه جلس الشيخ الشاذلى بن القاضى صاحب (المجلة الزيتونية) ، والسيد حسان بوجدرة من أعيان الجالية الجزائرية ، كما كان على يسار المحاضر رئيسا الجمعيتين المذكورتين السيدان الشاذلى المكى ، وقلش الزين .

وتناول بن باديس فى هذه المحاضرة الحركة العلمية والسياسية فى القطر الجزائرى ، فأوضح فى مستهلها بأسلوبه البارع بأنه دعى لالقاء هذه المحاضرة بدعوى من الجمعيتين المذكورتين ، فلم يسعه الا أن يلبى النداء رغم شعوره بالارهاق والتعب ، اذ هما لسان الشباب ، ومن الواجب تلبية هذا النداء الذى هو نتيجة الماضى ، وزهرة الحاضر ، وآمال المستقبل ، وعدة الحياة .

(*) تابع لما نشر فى الفكر س 26 — ع 4 — جانفى 1981 .

وقال فى بدء المحاضرة يعتذر عن اختيار الجمعيتين الحديث عن الجزائر دون المغرب العربى الذى يمثل فى أجزائه مظهرا من مظاهر الأمة الموحدة حتى فيما نالها من عنت الاستعمار « ان الجمعيتين اختارتا أن يكون الكلام عن الجزائر وأنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربى ، لأنى أؤمن بأن هذا الشمال الافريقى لا ينهض الا بتضامنه مع بعضه بعضا . لكن اذ تحدثت عن الجزائر فانما أتحدث عن جزء من كل ، وأذكر عن الأخ ما يسر اخوانه » (45) .

وحدد بعد ذلك موضوع المحاضرة ، واطارها السياسى العلمى منبها الى وجوب خوض العلماء ميدان السياسة ، لأن العلم والدين لا ينهضان الا بنهوض السياسة ، معارضا الرأى القائل بوجوب اقتصار العلماء على معالجة الموضوعات الدينية أو العلمية الصرفه قائلا بهذا الصدد : « وقد يرى بعضهم ان هذا الباب صعب الدخول لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم ، والبعد عن مسالك السياسة مع انه لا بد لنا من الجمع بين السياسة والعلم ، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض الا اذا نهضت السياسة بجد .

وانى أحدثكم لا بصفتى رئيسا لجمعية العلماء الجزائريين ، تلك الجمعية الدينية المحضه التى لا دخل لها فى السياسة ، وانما احدثكم بصفتى شخصا خدم الصحافة اثنتا عشر سنة وخدم العلم خمسة وعشرين سنة » .

ثم حلل بافاضة كما تقول جريدة « الزمان » الحالة العلمية والحالة السياسية فى الجزائر ، وانتهى الى وصف الحالة العلمية بأنها « اليوم علم مبنى على روح اسلامية عربية لا يمكن أن يقاومها مقاوم ، أو يعارضها معارض ، ولا يمكن للظلم أن يقف فى طريقها » .

اما الحالة السياسية فقد شرحها من خلال موقف الجزائريين من حكومة الواجهة الشعبية ، فبرر دعم الجزائريين لهذه الحكومة ، وعدم خوفهم مما قد تتعرض اليه من الخيبة ، لأن خيبة الأمة الجزائرية سوف تكون فى هذه المرة مرتبطة بخيبة فرنسا كذلك ، لأنها وضعت هى الأخرى ثقتها فى هذه الحكومة .

وعلى هامش هذه المحاضرة التقت جريدة (السردوك) (46) الأسبوعية

---

(45) (الزمان) 6 جويلية 1937 .

(46) (السردوك) 9 جوان 1937 .

الساخرة بالشيخ ، ورجته أن يتفضل على قرائها بحديث يشرح بعض المسائل القائمة فى الحياة الجزائرية ، فعين لمحررها موعدا فى النزل الذى يقيم فيه . ويصف محرر الجريدة هذه المقابلة ، ويقدم لنا وصفا حيا عن نشاط بن باديس وحيويته المتدفقة بقوله : « فى حدود الساعة الثامنة والنصف (صباحا) كنت أطرق باب غرفة الشيخ بن باديس فى نزل (ناسيونال) ، فلاقاني ببشاشته وحسن أخلاقه مرحبا . وكنت أظنه ما يزال نائما بالنظر لما يشكوه من التعب عند حلوله بتونس للمشاركة فى ذكرى المبرور البشير صفر ، ولكنى وجدته يحرر ويعمل فى انتظارى » .

وسأله مندوب الجريدة عدة أسئلة تتعلق (47) بموقف جمعية العلماء من الطرق والزوايا ، ومن جمعية نجم الشمال الافريقى ، وموقف النواب الماليين والعماليين من الجمعية وأعمالها بباريس . كما سأله المندوب عن امارة الشعر ومن يستحقها ، ومن يعجبه من شعراء الجزائر ، وأخيرا سأله رأيه فى بعض المشاكل الخاصة بالجامع الأعظم وتجنيد طلبته .

وقد أجاب الشيخ عن هذه الاسئلة بدقة العارف المتأمل الذى يعرف لكل مسألة حلها .

---

(47) نظرا لطرافة هذا الاستجواب وأهميته بالنسبة لتوثيق نشاط بن باديس العلمى والسياسى رأيت من المناسب ايراد بعض الاجابات الموضحة لموقفه من بعض تلك القضايا :

المحرر : ما هو موقف جمعية العلماء بالجزائر من الطرق والزوايا ؟

بن باديس : تأسست جمعية العلماء وغرضها تصحيح العقائد وتهذيب الاخلاق وتقويم الأعمال . ومعلوم انه لا يتم الغرض الأول بارتكاز العقائد على المبادىء الاسلامية ، ولا يكون تهذيب الاخلاق الا بالرجوع الى الاخلاق المحمدية ، ولا تستقيم الأعمال الا بارتكازها على الأصول الشرعية .

وقد صادمت الطرق والزوايا الجمعية لأن هذه المبادىء لا تتفق مع خرافاتها البعيدة عن جوهر الدين لكن الجمعية صمدت للمقاومة ، وبثت التعليم والارشاد الى أن تفتحت عيون الأمة ، وأصبح الاتجاه لينبوع الدين الصحيح من أبسط مدارك الشعب الجزائرى ، على أن الطرق والزوايا لم تكن مضرتها مقصورة على الجمعية وحدها ، بل هى خطر على الأمة جمعاء ، لأن الطرق آلة فى يد الادارة تضعها لعرقلة مطالب ورغائب ومشاريع الأمة .

أما زيارته الأخيرة لتونس فقد كانت بمناسبة عودة الشيخ عبد العزيز الثعالبي من منفاه بالشرق العربي في شهر اوت 1937 ، فجاء بن باديس موفدا من قبل جمعية العلماء يهنئه بالعودة مع جملة المهنئين اذ كان يكن له كل احترام وتبجيل ويراه من رجال الشمال الافريقي الافذاذ ، حتى انه كان يبيح لنفسه ان يذكره بالاسم المجرد دونما صفات أو ألقاب : « هكذا أذكره دون لقب أو صفة ، فان هذا الاسم لم يبق على ذات مشخصة تحتاج الى صفاتها وألقابها ، بل صار في أذهان الناس علما على الرجولة والبطولة والزعامة ، وعلى التفكير والعمل والتضحية ، وعلى الاسلام والشرق والعروبة وعلى وحدة افريقية .

فاذا قلت عبد العزيز الثعالبي فقد قلت هذا كله » (48) .

وهكذا يتضح من خلال ما كتب بن باديس ان زيارته الأخيرة هذه الى تونس كان لها غرض سياسي معين ، وهو تأييد موقف الثعالبي الذي كان بحاجة آنئذ الى تأييد ومؤازرة ، بعد تصدع الحزب الدستوري التونسي اثناء غيبته في الخارج ، وقيام الشطر الذي يمثل العناصر الشابة في الحزب بعقد مؤتمر استثنائي للحزب ببلدة قصر هلال (49) في 2 مارس 1934 والخروج بمقررات تهدف الى عزل اللجنة التنفيذية للحزب القديم التي لم تعد قادرة في نظرهم على القيام بالدور المنوط بعهدتها ، بحكم التطلعات الجديدة للشعب التونسي .

وفي هذه الظروف التي تؤكد اتحاد طبقات الأمة بأجمعها للعمل لفائدة القضية العامة يمكن لجمعية العلماء أن تتحد مع الزوايا للعمل لفائدة الأمة. ولكن الجمعية لا يمكنها بحال أن تتحد مع الزوايا التي تستعمل آلة ضد الأمة .

وأكبر دليل على رغبتنا في الاتحاد أني في الاجتماع الذي عقده المؤتمر الاسلامي بمستغانم في الصائفة الماضية كان يجلس الى جانبي أحد مشائخ الطرق ، وعند انتهائي من الخطابة مددت يدي مصافحا الشيخ أمام الجمهور قائلا : ها أنا أصافح هذا الشيخ رغم أني مصلح وهو طرقي كعنوان على التعاون في خدمة القضية العامة بدون نظر الى المشارب والمبادىء لأني رأيته يحضر هذا الاجتماع الذي عقد لخدمة القضية العامة ...

(48) (الشهاب) م 13 ج 7 ، 1937 .

(49) تقع في الساحل التونسي في الطريق بين المنستير والمهدية .

ولا شك في أن هذه الزيارة الأخيرة كانت محكومة بعدة عوامل ، فالثعالبي من أسرة جزائرية عريقة (50) وهو في نظر بن باديس يمثل بهذا الانتساب جانبا من نضال الجزائريين الذين أنقذتهم جنسيتهم التونسية من ملاحقة السلطة الاستعمارية ، ومن القبضة الشديدة التي كانت تفرد الجزائريين بمعاملة شاذة . وهو زيتوني عريق علما وسلوكا ، تتجسم فيه مآثر العلماء ، ومآثر الزعماء معا بنظرته المتطورة واقدامه الذي كثيرا ما جعله عرضة لسخط الوسط الزيتوني المحافظ .

وفي هذا الصدد كان بن باديس يرى نفسه صورة شديدة المشابهة لشخصية الثعالبي : انتماؤهما الوثيق لوطن واحد ، وحماسهما لرفعة شأن الدين والعروبة ، ومزاوجتهما بين العمل السياسي الذي يتطلب المرونة والحذق والصلابة ، وبين الاندفاع الوطني والاصلاحي الذي لا يهادن في سبيل نصرة الحق وتقويم الباطل ودحضه .

كما أن من مظاهر التشابه بينهما هو أن كلا منهما رحل الى الأزهر بعد الدراسة بالزيتونة لحضور بعض الدروس العلمية هناك استكمالا للطموح ودعما لشخصيته العلمية ، فدرس الشيخ الثعالبي على الشيخ البشري (51) كما درس بن باديس على الشيخ بخيت المطيعي ، وقد فتحت للثعالبي « هذه الرحلة عالما آخر ، وابتدأ تكونه العالمي والاقليمي » . (52) وهي نفس الغايات التي تحققت للشيخ بن باديس من رحلته الى الحجاز ومصر حيث التقى هناك بالشيخين مبارك الميلي ، وحمدان الونيسي . وبدأت فكرة تأسيس (جمعية العلماء) تخامر ذهنه بعد التحادث معها في الشؤون الجزائرية .

ومثلما كان الثعالبي وطنيا مغربيا عربيا اسلاميا ، كذلك كان ابن باديس يرى وجوب اطراد الكفاح من أجل الشمال الافريقي أولا ثم العروبة ثانيا ، وفي ضمن هذا وذاك الدفاع عن الاسلام الذي ينافي الظلم والقهر .

---

(50) يؤكد بن باديس في مقال له بمجلة (الشهاب) سبتمبر 1937 على الأصول الجزائرية للشيخ الثعالبي فيقول : « أسرة الثعالبي جزائرية ، وهو مولود بالجزائر ، وجده ممن شاهد بعضا من معارك الجزائر في رد الحملة الفرنسية ، وأصيب برصاص العدو ، وبقيت آثاره في صدره . فكان يكشف عن ذلك الصدر لعبد العزيز في صغره ، ويذكر له الجزائر والاستيلاء عليها ، وهجرته هو وغيره من الجزائريين من ذلك الاستيلاء ».

(51) عبد العزيز البشري (1886/1943) أديب مصري ، من علماء الأزهر .

(52) (الشهاب) ، م 13 ج 7 سبتمبر 1937 .

ولهذه الغايات تردد الثعالبي على المغرب والجزائر للاتصال بـرواد الحركات الاصلاحية هناك وتنسيق التعاون بين الجميع ، كما تردد ابن باديس على تونس وصحب علماءهما ، وتدخل المرار العديدة عبر صحافتها في الشؤون التونسية والمغربية حاثا على الاصلاح ، داعيا اليه ، منبها الى وجوب توثيق اللحمة وتوطيد عراها من هذه الأقطار .

وأخيرا فان الثعالبي كان ضحية من ضحايا الاستعمار الذي شرده الى الافاق ، وطوح به لأنه أنف حياة الذل والخنوع ، مثلما كان بن باديس جنديا من الجنود الصلاب الذين نهضوا في وجه الاستعمار الفرنسي ، وتعرض لمختلف مضايقاته .

ان عناصر التشابه بين الشخصين أكثر من أن تحصى ، ولعمري فهي التي جعلت رئيس جمعية العلماء شديد التعليق بالثعالبي رغم فوارق السن بينهما . ومن ثمة فقد كانت لمشاركته في استقبال الزعيم التونسي أكثر من مغزى سياسي ، وما كان تعبيره عن الفرحة الغامرة التي هزت « الشمال الافريقي» سوى وجه من أوجه الدعم الاعلامي الذي أرادت جمعية العلماء تقديمه للثعالبي الذي تعرض موقفه الى هزة سياسية أخرجته من الحزب الذي أنشأه وكرس له كل نشاطه واغترب بسببه . ولاعطاء هذه العودة ما تستحق من الهالة السياسية والاجتماعية نرى بن باديس يصفها بقوله : « عاد الثعالبي فاهتزت فرحا افريقيا الشمالية كلها وتونس وطنه ، والجزائر مسقط رأسه وموطن أسلافه . ورأت جمعية علماء المسلمين الجزائريين في قدومه اعتزاز الاصلاح الاجتماعي من ناحية الفكر والعلم والاخلاص والسلوك في الحياة . وهذا ما تعمل له الجمعية ، فأبرقت تهنئه وتهنىء الأمة التونسية الشقيقة به .

ثم رأت أن تعرب عن سرورها بقدومه واعجابها بمواهبه ، وتعظيما لجانبه بذهاب رئيسها لتحيته وتهنئته بقدومه ، وابلاغه كل ما تحمله الجمعية والجزائر العربية المسلمة من الحب والتعظيم والاحترام لشخصه » (53) .

ومن هذه الصورة المقتضبة عن المؤثرات العلمية والسياسية والفكرية التي ساهمت في تكوين شخصية بن باديس العلمية منذ نشأته وحتى أواخر أيام نضاله يتضح لنا ان البيئة الزيتونية هي استاثرت بالجانب الاوفى من اهتمامات الشيخ وشغفه ، واليها يعود الفضل في انجاب هذه الشخصية

(53) (الشهاب) م 13 ج 7 سبتمبر 1937 .

الاسلامية الفذة . فقد أتاحت الزيتونة للشيخ بن باديس الارتشاف من ينابيع علمها ، واكتساب صداقات هامة مع المستنيرين من أساتذتها دعاة الاصلاح والنهضة . كما أتاحت له الزيتونة الفرصة كي يمد عليها الجسور الثقافية والعلمية من خلال البعثات التى كان أول واضع لبرامجها التثقيفية وأهدافها السياسية الطموحة .

ومثلما تجلى سلوك بن باديس ومثله الاخلاقية العليا فى الامتثال لتعاليم أستاذه الأول أبى حمدان الونيسى الذى أخذ عليه عهدا بان لا يتكسب بعلمه ، فان هذه الفلسفة هى التى وجهت كل تفكيره لا لتكريس علمه فقط لخدمة وطنه ، ولكن لتكريس حياته كلها ، واشاعة هذه الفلسفة فى كل البعثات التى رعاها كي تنتهج المنهج الاخلاقى والفلسفى والوطنى الذى أصبح عنوانا على الشخصية الباديسية .

وقد تجاوز نشاط بن باديس مجرد قيامه بتجهيز البعثات ومد الجسور العلمية المقطوعة ، بين الزيتونة وتونس ، الى تجنيد كل الجزائريين المهاجرين ، والاتصال بهم خلال زيارته لتونس ، وتبصيرهم بمجريات الأمور فى الجزائر ، والاشراف على جمعياتهم وتكتيل جهودهم من أجل جزائر الغد .

وبذلك السلوك انما لهجت الصحافة التونسية ، والأوساط العلمية بتونس التى رأت فى حركة بن باديس حركة استرداد للمقومات المسلوبة التى يعمل الاستعمار جاهدا على طمسها وقتلها فى نفوس الجزائريين . وخصوصا منها الأوساط الزيتونية التى اعتبرت بن باديس ابنا بارا من أبناء الجامع الأعظم ، ونموذجا للعالم السلفى الذى لا يرى ضيرا فى الجمع بين الدفاع عن الدين والدفاع عن الوطن ، بل يرى السياسة والعلم توأمين يجسد توحدهما أكبر الأخطار على الاستعمار الساعى على الدوام للتفريق بين هذين العاملين .

واذا كان للزيتونة من فضل على الجزائر ، فان فضلها الكبير يكمن فى هذه الصدفة النادرة التى أتاحت لابن باديس التتلمذ على بعض أعلامها أما أفضال بن باديس على العروبة والاسلام وعلى الجزائر قاطبة فتكمن فى حلقة الوصل التى أحكم رباطها المقدس بين شعبين طالما حلم الاستعمار ببتر الامشاج التى تربطهما .

محمد صالح الجابري

جراح فلسطين

شعر : حلمي الزواوي

إلى أبي سلمى .. زيتونة فلسطين

لملِم جِراحَكَ ، فالجراحُ وسامُ ... وَانهض بنفسكَ ، فاللئامُ لِئام
انفرْ الى العلياء غَيرَ مهادنٍ ... فَمِنَ الدماء تُلَوَّنُ الأعْلام
وَازرعْ سهامَكَ في قُلوب عداتِنا ... هوذا الفداءُ ، وَهكذا الإقدام
فالحقُ ينتزعُ بالدماء وطالما ... تجري الدماءُ ، نعِزةٌ ووئام

* * *

ماذا أقولُ وفي فُؤادي غصَّةٌ ... وَالقلبُ باكٍ ، والحياةُ قتامُ ؟
أبكي ، ومَا عَرفتْ عُيوني عَبْرَةً ... أنبو ، واني في الجهاد إمامُ ؟
سَبعونَ عامًا لم نَكِل وجَيشُنا ... وليتَ وجهكَ مدفعٌ وَحُسامُ ؟
في أرضنا وُلِدَ الكِفاحُ مُجلجلاً ... وَعلى رُبانا تُغْسَلُ الآثامُ
وَالفجرُ يبزغُ من بلادي نورُهُ ... وَالشمسُ تُشرقُ والضّحى بَسَّامٌ
وَالزّحفُ يبدأُ مِنْ بلادي ركبُهُ ... وَبأرضنا تتفجرُ الألْغامُ
وَالنصرُ يبدأ من حمانا عُرسُهُ ... وَبغارنا تتزيَّنُ الأيامُ
وَالخيرُ ينبعُ من فلسطين التي ... عَبَقَ العَبيرُ ولذت الأنسامُ
وَالله ما عرفتْ عيوني لذّةً ... أبَدًا ولافي البُعدِ طَابَ مُقامُ

* * *

عَفْوًا«أبا سلمى» فَقَدْ طال السُّرى ... فالليل داجٍ وَالطَّريق ظلامُ
قد مزَّقَ الأعداءُ صَدْرَ بلادنا ... وَاستأسَدَتْ مِنْ حوَلِنا الأغْنامُ
أنا لَسْتُ أدري يا أخي ماذا جَرى! ... هل للعروبة صَحوةٌ وقيامُ ؟
وَهل العروبةُ أنْ نَظلَ قبائلاً ... تَلهو بنا الأوثانُ والأصنامُ ؟

سَلبوا خُيوطَ الفَجْرِ من أحداقنا ... عَمانُ تشهد فعلهمْ والشَّامُ
يَتهاونونَ اذا مَضوا لِعدّوهِمْ ... وَعلى الشُّعوب بُغاثُهُمْ ضرْغامُ
قَد تاجروا بِدمائِنا ودُموعنا ... وَتهاودَتْ في بَيعها الحُكَّامُ
قالوا لَنا : نَحمي ديارَكُمُ غدًا ... وَاذا الأماني كُلُّها أوْهامُ
يا بائعي وَطني كفاكُمْ خِسَّةً ... ما كُنْتُ أحْسَبُ أنكمْ أزْلامُ
كَذِبَ الذي زَعَمَ العُروبةَ مَنبَرًا ... وَهل العُروبةُ منبرٌ وكَلامُ ؟!
إنّ العروبةَ أن نَعيشَ بعزّةٍ ... أوأنْ نَموتَ وسيفُنا الصَّمصامْ

* * *

قُمْ يا أخي واعصِبْ جِراحك وانتفض ... فعلى دِمانا تهتدي الآنامُ
لَم يعرفِ التاريخُ منذْ خُلِقَ الورى ... شَعبًا كشعبي في الوَغى مقدامُ
سنشقُّ دَربا للرجوعِ مُعبَّدًا ... بِجماجِمِ الأحرارِ ، ذاك مَرامُ
وَنُعيدُ للأقصى الحبيبِ جموعه ... لا القَسَّ يدخُلُهُ ولا الحاخامُ
وَيبارِكُ الأبطالُ زَحْفَ جُموعِنا ... وَتضمُنا الأوهادُ وَالآجامُ
حَسِبوا بِأنَّا قَدْ تَمزّق جَمْعُنا ... إرْبا ، وحُطّتْ فَوقَنا الآلامُ
ونسوا بأن الشعب صانع مجده ... والأسد مهد عرينها الآكام
والشَّعبُ رغمَ سجونِهمْ وسَياطهمْ ... باقٍ وهم منْ حولهِ أنعامُ
وَالشعبُ باقٍ ان تَمزَّقَ شملُه ... حرًا ، وَان يتكاثرِ الأخصامُ
عهدًا سنمضي لَنْ يَفُلَّ صُمودَنا ... مَلِكٌ طغى أو حاكمٌ ظلاّمُ

* * *

يا شاعرَ الأحرارِ يا زيتونةً ... خضْراءَ لَنْ تجتثها الأعوامُ
سُقيا لِروحِكَ يا رفيقَ نضالِنا ... يا ابنَ الجبَالِ الشُّمِّ ، يا همَّامُ
ذِكراكَ باقيةٌ وصَوتُكَ هادرٌ ... وَجميلُ شعركَ خِنجَرٌ وَسِهامُ
فارقُدْ قَريرَ العينِ لا محزونها ... تَفديكَ منا أنفسٌ وَعِظامُ
يَرعى الإلهُ بفضلِهِ وبجودهِ ... أرضًا عليها العُرْبُ والإسْلامُ
وَيُعيدُ للمظلومِ كاملَ حقِّهِ ... فهو النَّصيرُ وَعهدُهُ إلزامُ
وَأعلمْ بأنَّ اللهَ ناصرُ دينهِ ... وَهو الوَليُّ وَحسبُنا العَلاّمُ .

إعجاز القرآن يظهر في العقل الالكتروني

بقلم : د. رشاد خليفه
تعريب : توفيق بن سلمون

* (2)

نجد نصف الحروف الأبجدية العربية بالضبط ، أى 14 حرفا ، تكون 14 مجموعة من الرموز القرآنية وهذه الرموز تفتتح 29 سورة . أما عن الحروف الأربعة عشر فهى :

أ ، ح ، ر ، س ، ص ، ط ، ع ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، ي

والمجموعات الاربعة عشر هى :

ق ، ن ، ص ، طه ، يس ، طس ، حم ، الم ، الر ، طسم ، عسق ، المر ، المص ، كهيعص .

أما السور التسعة وعشرون التى تبدأ بها هذه الرموز فهى سورة عدد 2 ـ 3 ـ 7 ـ 10 ـ 11 ـ 12 ـ 13 ـ 14 ـ 15 ـ 19 ـ 20 ـ 26 ـ 27 ـ 28 ـ 29 ـ 30 ـ 31 ـ 32 ـ 36 ـ 38 ـ 40 ـ 41 ـ 42 ـ 43 ـ 44 ـ 45 ـ 46 ـ 50 ـ و 68 . ومن غير المستغرب أن هذه الرموز أو الفواتح القرآنية **لا** توجد الا فى القرآن ولا توجد فى أى كتاب آخر فى أى مكان فى العالم وسنرى أن هذه الفواتح لها صلة مباشرة ومتينة بالعدد 19 عدد حروف **بسم الله الرحمن الرحيم** .

ولنبدأ بهذه الأعداد الملموسة : 14 حرفا تكون 14 مجموعة من الرموز الموجودة على رأس 29 سورة . عندما نجمع 14 و 14 و 29 نتحصل على مجموع 57 الذى هو ضارب19 . لنشرع الآنفى البحثفى الرموز القرآنية واحدا واحدا.

(ق) هذا الرمز القرآنى المتألف منحرف واحد يفتتح سورتينوهما : سورة « ق » وسورة « الشورى » وعندما نحصى عدد المرات التى يتكرر فيها هذا الحرف فى سورة « ق » وهذا يستوجب من 3 الى 5 دقائق ، نجد أنه 57 أى 3 × 19 والصلة بين هذا العدد وعدد أحرف **بسم الله الرحمن الرحيم** جلية . وتتمتن هذه الصلة عندما نحصى كم مرة تكرر حرف (ق) فى سورة

(*) تابع لما نشر فى « الفكر » ع 3 ـ س 26 ـ ديسمبر 1980

الشورى بعد حوالى 5 الى 7 دقائق . ، اذ هذا العدد هو 57 . وما علينا أن نلاحظه هو رغم أن سورة الشورى أطول من سورة « ق » بأكثر من مرتين فانهما تحتويان على نفس العدد من حرف (ق) . ولا يسع الانسان هنا الا ان يركع أمام قوة الله القدير ونحن نشاهد الدليل القاطع لرسالته الالهية . ولا يسع الانسان أيضا الا أن يفكر ويسأل « من خطط ووضع هذا الميزان الحسابي ؟»

وان ما وجدناه من أن السورتين اللتين فتحتا بحرف « ق » لهما نفس عدد هذا الحرف وأن هذا العدد هو ضارب 19 ليس خاتمة فانه اذا ما جمعنا عدد حروف « ق » فى كلتا السورتين نجد مجموعا يساوى 114 (6 فى 19) ما يساوى عدد سور القرآن . ولذا فاننا نعتبر هذا الحرف رمزا للقرآن ، وهو يدلنا أيضا على أن القرآن يتكون من 114 سورة لا أكثر ولا أقل .

ونلاحظ أيضا صعوبة واعجاز هذه القاعدة الحسابية فى نظامها اذا ما رجعنا الى سورة « ق » آية 13 وجدنا آية عادة ما تتلى بدون أن ينتبه اليها انتباها خاصا ولكنها تحتوى على تحليل يظهر لنا أن كل كلمة وكل حرف فى القرآن ينتظمان فى نسق دقيق أحكمت بناءه يد الاله القدير ، تقول هذه الآية : « **وعاد وفرعون واخوان لوط** » . ذكر القرآن قوم لوط 12 مرة (فى سورة الأعراف) (آية 80) ـ هود (70 ـ 74 ـ 89) ـ الشعراء (160) النمل (54 ـ 56) العنكبوت (28) ص (13) ق (13) والقمر (33) وكل مرة ينعتون فيها بقوم لوط الا مرة واحدة وفى سورة (ق) يدعون (اخوان لوط) وهنا يظهر لنا جليا ان استعمال كلمة اخوان عوضا عن كلمة قوم تحصر عدد ذكر حرف القاف . فاذا ما استعملت كلمة قوم عوضا عن كلمة اخوان فى سورة (ق) فان عدد حروف (ق) سيصير 58 ولن يكون ضاربا لعدد 19 ، ولن يكون مجموع الأعداد فى هذه السورة معادلا مجموع الأعداد فى سورة الشورى ولن يعادل مجموع هذا الحرف فى كلتا السورتين عدد السور فى القرآن أى أن النظام بأكمله يفسد بسبب تغيير حرف واحد ، فاذا غيرت أو أنقصت أو زيدت كلمة واحدة تحتوى على حرف (ق) كـ (قوم أو قولوا أو قد الخ) خلال الأربع عشرة قرنا الماضية وفى سورة (ق) أو الشورى فان هذه القاعدة الحسابية كانت تضمحل .

(ن) ـ يوجد هذا الرمز القرآنى فى سورة واحدة وهى سورة « القلم » (عدد 68) . عندما نحصى عدد المرات التى تكرر فيها هذا العدد فى السورة المذكورة فاننا نجد أنها استعملت 133 مرة وهو ضارب 19 (7 فى 19) ومن جديد نرى أن تغييرا اذا ما حصل فى كلمة تحتوى على حرف (ن) كان يؤدى

الى زوال هذه الظاهرة ومرة أخرى يتضح لمن يقرأ القرآن أن الاعجاز القرآني ملموس ومحسوس ولا جدال فيه .

(ص) – يوجد هذا الرمز فى سورة الأعراف وسورة مريم وسورة « ص » وعندما نحصى نجد أن هذا الحرف استعمل 152 مرة فى السور الثلاثة (8 فى 19) وبالامكان ان نعطى مثالا آخر هنا كى نبين معجزة وضع الحروف والكلمات القرآنية . تحتوى الآية 69 فى سورة الأعراف على كلمة بصطة « **اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بصطة** » والملاحظ أن هذه الكلمة مكتوبة بالصاد ولا بالسين كما هو متداول فى اللغة العربية ومن المعلوم أن اللغة العربية لا تحتوى على كلمة بصطة ، على أن هذه الكلمة فى القرآن تعبر عن مفهوم البسطة (بالسين) وهذا ظاهر من مفهوم الآية . ويؤكد علماء الاسلام من جهة أخرى أن هذه الكلمة ونسخها بالصاد اجبارى وهم يعنون أن جبريل عليه السلام أوصى محمدا صلعم فى كتابة هذه الكلمة بالصاد ولا بالسين كما هو معهود . تظهر لنا هذه الكتابة الاجبارية والغير معهودة اذن تصميم القرآن المرتكز على الحروف الأبجدية هذا التصميم الذى يبرهن لنا أيضا أن القرآن لم يقع فيه أى تغيير كى تعاين كل الأجيال معجزة محمد الأزلية .

(طـه) هذان الحرفان يفتتحان سورة طـه وعدد استعمال حرف « طـ » هو 28 . أما حرف « هـ » فقد استعمل 314 مرة وهذا يعطينا مجموعا يساوى 342 وهو ضارب 19 (18 فى 19) فى هذه المرحلة نكتشف هذه الظاهرة المدهشة التى تصور لنا مدى تشعب القانون الحسابى فى القرآن مما يزيده غموضا . وجدنا أن مجموع ذكر الحرفين – طـ – هـ – يساوى عددا يكون ضارب 19 لا فى سورة « طـه » فقط بل فى كل سورة تفتتح بأحد الحرفين فنجد حرف «طـ » فى سورة « طـه » وسورة « الشعراء » وسورة « النمل » وسورة « القصص » ونجد حرف « هـ » فى سورتي « طـه » و « مريم » وحينما نعد كم مرة استعمل حرف « طـه » فى كل من السور الأربعة ونضيف لها عدد استعمال حرف « هـ » فى كلا السورتين فان الحاصل يكون 589 أى (19 × 13) وهذا ما يظهر لنا التوزيع المحكم والمراقب لكل حرف على حدة – فاستعمال حرفى طـ و هـ صمم ونفذ لا فى صورة طـه فحسب بل فى كل السور التى تفتتحها هذه الأحرف وربط هذا الاستعمال أيضا بفواتح السور الأخرى كما سنرى ولذا فان هذه البراهين تؤكد لنا من جديد أن هذا العمل يفوق طاقة الانسان .

(يس) يفتتح هذان الحرفان سورة (يس) (آية 36) ويستعمل حرف الياء

في السورة (آية 237) أما حرف السين فيستعمل 48 مرة مما يؤدى الى ذكر الحرفين 285 مرة أى 19 فى 15 وان الظاهرة التى لاحظناها بالنسبة لطه تتكرر هنا فحرف الياء يحدث فى سورة مريم وسورة يس ومجموع الاستعمال يساوى 582 . أما حرف السين فيستعمل فى خمس سور وهى الشعراء ـ النمل ـ القصص ـ يس ـ الشورى ومجموع استعمال هذا الحرف فى السور الخمس يساوى 387 وعندما نجمع ما أحصى بالنسبة للحرفين فاننا نتحصل على (387 + 582) = 969 وهو ضارب (51 فى 19) .

(حم) يفتتح هذان الحرفان سبع سور فى القرآن الكريم ومجموع استعمال حرف الحاء فى السور السبع 304 . أما حرف الميم فمجموعه 862 اسما يؤول الى 2166 . وهذان الحرفان لهما مزايا تزيد على الأحرف الأخرى اذ أن المجموع يساوى 19 فى 114 وهى عدد الأحرف الموجودة فى **بسم الله الله الرحمان الرحيم** . مضروب فى عدد السور فى القرآن ـ مع العلم أن كلا مجموعى حرف الحاء وحرف الميم كل على حدة هو ضارب 19 .

(طس) هذان الحرفان لهما خاصيات كل على حدة ويظهر أن السور التى لها نفس الرموز تتحد فى بعض الخاصيات . تبين أن عدد حرف « ط » فى كل السور التى تفتتح بهذا الحرف مع عدد حرف « س » فى السور التى تفتتح بهذا الأخير يعطى مجموعا يكون قاسمه 19 ـ يفتتح حرف الطاء 4 سور : طه ـ الشعراء ـ النمل ـ القصص ، ومجموع ذكر الحرف فى السور الأربعة 107 . ويفتتح حرف السين خمس سور وهى الشعراء والنمل والقصص ويس والشورى والمجموع هو 387 ـ ولذا فالمحصول يكون 107 + 387 = 494 الذى هو ضارب 19 (26 فى 19) .

(طسم) كما رأينا من خلال البحث فى استعمال حرفى سين وطاء فان مجموع حرف على حدة هو ضارب 19 . وعندما نحصى ذكر حرف الميم فى كلا السورتين اللتين تفتتحان بطسم وهما الشعراء والقصص نجد أن مجموع استعمال هذا الحرف هو 950 (ضارب 19) ونزيد على هذا ما وجدناه آنفا فيصير مجموع الأحرف الثلاثة ط + س + م (950 + 107 + 387) = 1444 = (19 × 76) .

زيادة على هذا اذا ما جمعنا ذكر حرف ط فى الأربع سور (107) مع حرف الميم فى السبعة عشرة سورة (8683) نتحصل على مجموع 9177 وهو يساوى (19 فى 483) .

(الم) تفتتح هذه الأحرف الثلاثة ثمانية صور (البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، الرعد ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة) ووجدنا أن مجموع

(الم) هذه الأحرف الثلاثة فى كل من السور الثمانيـة المذكورة يعادل 26676 وهو ضارب 19 زيادة على هذا فان حـرف الألف يفتتح ثلاثة عشـر سورة وهى زيادة على السورة المذكورة أعلاه (8) سورة يونس وهود ويوسـف وابراهيم والحجر . أما حـرف اللام فهو مذكور زيادة على السور الثمانيـة الأولى فى الشعراء والقصص ، غافـر ، فصلت ، الشـورى ، الزخـرف ، الدخان ، الجاثية ، الاحقاب ــ وعندما نضيف عدد ذكر حرف الالف فى الثلاثة عشـرة سـورة (17499) لعدد ذكـر حرف اللام مـن الثلاثة عشر سـورة (11780) وبعدد ذكـر حرف الميم فـى السبعة عشر سورة (8683) نتحصـل على مجموع 37962 وهو بالطبع ضارب 19 (1998 فى 19) (ويجب علينا الملاحظة أن كل مجموع لكل حرف على حدة هو ضارب 19 . ألف (17499 = 921 في 19). اللام 11780 = 620 × 19 – الميم 8683 = 457 في 19 ويجب علينا ان نتذكر هنا أيضا حديث الرسول صلعم عندمـا قال : « أقول لكـم أن الم ليست واحدة ولكن الألـف حرفا علـى حـدة واللام حرفـا عى حـدة والميـم حرفا علـى حدة » واستقلاليـة هذه الحروف جلية هنا واستقلاليتها ستظهر أكثر عندمـا ندرس الحروف المزدوجة التى تتكون من أل أو الم كـ « **المص** » « **المر** » و « **الر** » .

« **الر** » : تفتتح هـذه الاحرف خمس سـور وهى يونس وهـود ويوسف ، وابراهيم والحجر . كما بان لنا مـن قبل يظهر هنا أيضا تشعب واستقلاليـة الرموز القرآنية خاصة فى الرموز المتكونة من عدة أحرف . عندما أحصيت المرات التى ذكرت فيها الحـروف أ ــ ل ــ ر . فى السور المفتتحـة بهـا تحصلنا على مجموع 9572 وهى ليس ضارب 19 ــ لكن تواصل البحث أظهر لنا أن حرف الراء الذى يفتتح سورة الرعـد لا يجب الاستغناء عنـه . ولهذا لما أضفنا عدد هذا الحرف فى السورة المذكـورة (137 مرة) الـى مجموع 9572 وجدنا مجموعا جديدا وهو 9709 وهو أيضا ضارب 19 .

« **عسق** » : يفتتح هـذا الرمـز سورة واحدة وهى سورة الشورى ــ وقد وجدنا أن عدد استعمال الأحرف الثلاثة فى هذه السورة هو 209 (11 فى 19) وفى الآن نفسه عندمـا أضفنا عـدد حدوث حرف العين فى سـورة مريـم والشورى الى عدد حدوث حرف السين فى الشعراء والنمل والقصص ويس والشورى وعدد حدوث حرف القاف فى سورتى الشورى و « ق » تحصلنا على مجموع 722 (221 + 387 + 114) وهو ضارب 19 .

« **المص** » : نجد هـذا الرمز فى سورة واحدة وهى سـورة الاعـراف ، كـل الحروف التى تكون هذا الرمز بحثت اعلاه وبينا أن (الم) مثلا فى السـور

التى تفتتحها ومنها سورة الأعراف بها أعداد هى ضارب 19 وبينـا أيضا أن (ص) هو ضارب 19 ، لكن ما علينا أن نلاحظه رغـم أن (الم) علـى حدة لا يعطينا عددا يكون قاسمه 19 فـى سورة الأعراف وكذلك الأمر بالنسبـة لـ(ص) ، رغم هذا فان عدد ذكر الأحرف الأربعة هو ضارب 19 ـ عدد ذكر أحرف ألف لام ميم صاد في سورة الأعراف هو (2572/1523/1165/8) مما يؤدى الى مجموع 5358 وهو يساوى (282 فى 19) . وهذا يبين مرة أخرى طبيعة القانون الحسابى القرآنى المرتبط ببعضـه رغـم تشعبـه .. فان مفتتحات السور ألف لام ميم صاد تجمل فـى عددها ضارب 19 فـى سورة الأعراف وفى الوقت نفسه تشارك كل الأحرف المفتتحة للسـور الأخـرى فى تكوين ضارب للعدد 19 . ويمكن لنا أن نذكر أن عدد ذكـر الألف وحده فى الثلاثة عشر سورة هو ضارب 19 (17499) وكذلك الامر بالنسبة لحرف اللام فى الثلاثة عشر سورة هو ضارب (11780) والميـم فى السبعـة عشرة سورة (8683) والصاد فى ثلاثة سور (152) وهـو ضارب 19 أيضا مما ينجز عنـه أن مجموع كل الألف واللام والميم والصاد فى كـل من سورها هـو أيضا ضارب 19 (38114) ولهذا فان هذه الأحرف الأربعة تعطينا عددا يكون دائما ضارب 19 وذلك ان أخذنا سورة الأعراف فقط أو السور المبدوءة بـ (الم) أو السور المفتتحة بصاد أو التى بدأت بالـف أو لام أو ميـم أو كل هـذه السور مع بعضها .

المر : سورة الرعد هى السورة الوحيدة التى تحتوى على هذه الأحرف كبداية لهـا ومجموع ورود هـذه الأحرف فى السورة المذكـورة هـو 150 (أى 19 فى 79) وما شاهدناه فى سورة الأعراف فىخصوص الأحرف (المص) موجودة فى سورة الرعد أيضا ان جمعنا كل الأحرف مع بعضها بعضا فى سورة الرعد أو ان جمعنا عدد كل حرف على حدة فى كل سورة تحتويه أو جمعنا كل حرف على حدة فى كل سورة احتوته فاننا نتحصل دائما علـى مجموع يكون قاسمه 19 .

نرى من الهام أن نلاحظ معنى العدد 1501 فى عدد ورود (المر) فى سورة الرعد ان عدد 1500 عدد سهل وكامل ولكنه ليس بضـارب 19 ونلاحظ هنا أن حرفا واحدا سواء كان ألفا أو لاما أو ميما أو راء يكون الفارق الكبير بين العدد الذى يمكن اقتسامه على 19 والذى يمكن أن يكون ضارب 19 .

ومعنى هذه الملاحظة يبين عندما نشاهد الكيفية التـى كتب بها القرآن فهناك كلمات مثل الصلاة والحيـاة والزكـاة والمشكـاة وغيرهـا توجـد فى القرآن ولكنها لا تكتب بالصفة المعهودة فى اللغة العربيـة فهذه الكلمـات

تكتب فى القرآن كما يلى : صلواه ، حيواه ، زكواه ، مشكاواه ، وعليه يمكن للقارىء أن يتصور الذى يمكن أن يحدث اذا ما كتب القرآن بالصورة العادية التى تكتب بها اللغة العربية .

وفى هذا المثال بالضبط يتعين عدد ورود الألف وينهار الهيكل الرياضى الذى نعانيه بأكمله ـ ومن المتأكد أن حماية الله لكتابه هى التى جعلت كل المحاولات الآنفة لكتابة القرآن بالطرق الحديثة تؤول الى الفشل .

(كهيعص) : تفتح هذه الأحرف سورة واحدة وهى سورة مريم ومجموع ورود هذه الأحرف فى السورة 798 (19 فى 42) ولذا فان الصلة بين عدد 19 وحروف **بسم الله الرحمان الرحيم** الرموز القرآنية تنطبق على كل مفتتحات السور بدون استثناء وهى تكشف لنا معنى الرموز القرآنية لأول مرة . ولقد بقيت هذه الرموز غامضة مدة أربعة عشر قرنا .

وظهر الآن جليا أن جيلنا هو الذى أختير ليشهد المعجزات الكامنة فى هذه الأحرف وأنا تعرفنا الآن على أن هذه الرموز تشهد على أن القرآن هو رسالة الله تعالى للانسانية جمعاء وانه حفظ حفظا تاما وانه لم يطرأ عليه أى تغيير أو زيادة أو نقصان وهو يؤكد ويتمم ويعوض كل الرسالات والكتب التى سبقته .

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » سورة المائدة آية 48

وفى الختام ، عندما نعاين مفتتحات السور والسور التى نبدؤها فاننا نعرف أن الله سبحانه وتعالى كان يشير لنا معنى هذه الأحرف . وفى كل حال فان هذه المفتتحات تسبق آيات تنص بأن القرآن هو كتاب الله للانسانية جمعاء ويتبين لنا الآن أن فى هذه الحروف نفسها تأكيدا على أن القرآن كلام الله ومن الملاحظ أيضا أن السور التى لا تفتتح بهذه الحروف عادة لا تبدأ بآيات تنص على أن القرآن هو كلام الله ومن صنعه .

وعندما يفكر الانسان فى هذه المعجزة الكبيرة فانه يجد أن الكلام عاجز عن التعبير عن عظمة الهيكلية الأبجدية فى القرآن .

فهذه الحروف لا تكون هيكلا رياضيا متشعبا فحسب وانما تؤلف آيات وجمل فى غاية الروعة والكمال من الناحية اللغوية وتؤدى للعنصر الانسانى أبلغ رسالة .

وحين يفكر الانسان فى هذه المعجزة الالهية فانه لا يسعه الا الاستشهاد بقوله تعالى : « **ولو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** » . **صدق الله العظيم .**

آيات من سورة البعث

شعر : محمد علي الهاني

تُشَقْشِقُ شُحْرُورَةُ الفَجْرِ ،
يَخبو بِأفْق الأهازيج نجمُ السُّعودْ
وَفِي غَابَة النُّور
يَنْتَحِرُ الحُلْمُ ،
تُصْلَبُ فَوْقَ طَرِيق الخَلاَص الوُعُود
وَتَطْلَعُ مِنْ قُمْقُم الرَّفض شَمْسٌ ، أحَدِّقُ فِيهَا
يَذُوبُ جِدَارُ الجَلِيد
يعَرْبدُ وَجْهِي عَلى جَبَل الذِّكْرَيَاتِ ،
يُحَلِّقُ طَائِرَ رَعْدٍ شَرِيدْ
يُخَدِّرُ سَمْعِي ، يُعَقِّمُ أرْحَامَ صَوْتِي ،
وَيَرْحَلُ فَوْقَ قِطار الجُنُون بِدون جَوَازٍ بَعِيدا .. بَعيد
أعَانِقُ جُرْحِي بِكَهْف رَمَادي ،
وَأمْضَغُ فَاكِهَةَ الحُزْنِ ،
أحْسُو نَجِيعَ مَخَاضِي الجديد
عَلى سَاعِدِ الصَّمْتِ أغْفُو ، وعَاءَ صَدِيدْ

* * *

تُشَقْشِقُ عُصْفُورَةُ الفَجْرِ ،

يَمْلؤُنِي الإشتِهاءْ

أسَافِرُ فوْقَ شِراعِ التَّأمُّلِ ، أبْحَثُ عنْ شَاطِىءِ الإنْتِمَاءْ

فَأرْسِي بِبَرّ الذُّهُول أرِيجًا يَفِيضُ سنًى وَسَنَاءْ

يُجَرِّرُ جِسْمِي (يَهُوذا) ، يُكَلِّلُ بالشَّوْكِ رَأسِي ،

وَجِسْمِي عَلى مَذْبَحِ الشَّهَوَاتِ يُقَدِّمُ كَبْشَ فِداءْ

أحَدِّقُ فِي فَرَحِ الحُزْنِ ،

أسْألُ ذَاكِرَتِي عَنْ مَخَالِبِ صَوْتِي

أسَائِلُهَا عَنْ تَقَاطِيعِ وَجْهِي المُسَافِرِ فَوْقَ صَفِيحِ التَّحَدِّي بِدُونِ حذاءْ

فَتَرْفُلُ ذَاكِرَتِي فِي ثِيَابِ الحِدَادِ ،

تُهَمْهِمُ ، تَرْفَعُ لافِتَةً كُتِبَتْ بالدِّمَاءْ

وَتَرْكُضُ – كالطِّفْلِ خلْفَ الفرَاشَاتِ فَوْقَ بلاطِ البُكَاءْ

يُغَازِلُنِي فَوْقَ جِسْرِ الهَزِيمَةِ عِنْدَ الغُرُوبِ شُحُوبُ المساء

فَأشْرُدُ فِي بَاطِنِ الأرْضِ ،

أبْحَثُ عَنْ طَائِرِ الإنْعِتَاقِ ووجهِي المضَاءْ

تَمُرُّ الفُصُولُ العِجَافُ ،

تَلِيهَا فُصُولُ المَخَاضِ ،

يُغَيِّرُ خَارِطَةَ الأرْضِ فِي موسم الياسمين رَبِيعُ الدِّمَاءْ

فَأخْرُجُ مِنَ رَحِمِ المَوتِ زَهْرَةَ مَاءْ

محمد عل الهانى

تائهة في اليم..

قصة : دليلة الزيتوني

القطار يسير ، يلتهم الطريق ويطوى المحطات عبر المسافات والزمن يجرى بقتات السنين ، وأنا شل تفكيرى وشلت ارادتى ، أنظر الى زهـرة عمـرى الذاوية وأحلامى المتلاشية وفرحى المصلوب فى ساحة الايام ولا أفعل شيئا . أوكل أمرى الى الصدفة العشوائية والقدر المحتوم . زرعوا فى تفكيرى بذور الاستسلام والرضوخ ، أبى وأمى ، حولانى الى آلة خرساء تنفذ الاوامر دون مناقشة أو تفكير .

لو أننى تماديت فى مقاومتى ورفضى ، ربما ستبيض ليالى غرفتى الموحشة كالقبر ، ربما يطلع فجرى وتغتال خيوط الشمس أشباح بيتى ، تزيح الافكار السوداء من ذهنى وتذيب القوالب الثلجية التى تلفنى من راسى الى أخمص قدمى ، وتبعث الدفء والحرارة والحياة فى نفسى . متى تنتهى هذه المهزلة ــ المأساة التى أعيشها ؟! متى تنزاح قيودى التى تكبلنى وتفصلنى عن السعادة ؟ متى ؟ متى ؟

صوت أبى مازال يقرع أذنى ويملؤنى رعبا كلما تذكرت ذلـك اليـوم : « يجب أن تتزوجـه شاءت هذا أم أبت . انـه بن عمتهـا ولا ينقصه شىء » .!

قال عمى : « الولد نسخة من أبيه . ان اختى فاطمة تتحكم فى أبيه وتديره كما تدير الخاتم فى اصبعها . ماذا تريد ابنتك المغفلة هذه ؟ أتريد من يتحكم فيها ويضربها !؟»

قالت عمتى الثانية : محمد لا ينقصه شىء . انه مهندس فى « الميكانيك » العام فى فرنسا وأبوه له سيارة فخمة ربما كان عاملا بسيطا فى ورشة . أو ربما كان مجرد « نادل » فى احدى الملاهى الليلية التى تعج بها فرنسا !

صاحت أمى فى وجوههم : « انها لا تحبه ولا تريد الزواج منه ، لا ترغموها. لقد أمسكت عن الطعام والنوم منذ أن سمعت الخبر »

لكنها ما لبثت أن انضمت الى صفوفهم خاصة حين هددها أبى بالطلاق ان لم تحاول اقناعى . هى لا تريد أن تفقد بيتها ولا تقوى على فراق أبى !

كنت صغيرة ولم يكن بامكانى أن أفعل أى شىء سوى الدموع أذرفها فى غيظ مكبوت .

يا لهم من أغبياء وحمقى ! عمتى وزوجها ماذ ينتظران من زوجة لا تحب ابنهما لا أدرى ! وهو الابله الحيوان الذى كنت اعتقد بأنه سيفهمنى ويقدر موقفى ويعدل عن فكرة الزواج ، ضحك حين قلت له : لا أحبك ، قال :

ــ « الزواج عندى شركة والشركة لا تستوجب الحب » .

هكذا يصير بعضنا حين يذهب الى بلاد الغرب ، يتخلى عن كل قيمه الاخلاقية ، عن عروبته ليصبح صورة مشوهة ، أراجوز مفكك الاعضاء ! لقد عاد بلا قلب ، بلا ضمير ، بلا شخصية ، عاد ببدلة وربطة عنق ونظارات على عينيه وبعض المال ، ماذا أفعل أنا بماله ؟ أتراه سيعيد لى السعادة التى حزمت منها ؟ لا لن استطيع ، غاب الأمل من سمائى وودعت حياتى الضاحكة حين عقد قرانى وحرر صك عبوديتى وتشابكت خيوط مأساتى .

لو أننى تصديت لأبى وصحت بأعلى صوتى : « لا أريده لا أريده » ما الذى كان سيحدث ؟ ربما نجحت فى اصابة هدفى ولاصبحت الآن بغنى عن وضعى المتأزم ومشاكلى المتشعبة . ربما .. ربما ..

هى ساعة أو بعض ساعة ويصل القطار الى المحطة وأجد عادل حبيبى فى انتظارى فى شوق ولهفة . كان زميلى فى الدراسة وكان فى كل مرة يفاتحنى فى الخطبة وكنت أشير عليه بالتريث وبتأجيل الموضوع الى بعد التخرج . ولكننى الآن ماذا أقول له وقد توظفنا نحن الاثنين ؟ ماذا أفعل . أو بماذا ترانى أجيب !؟ حائرة ، قانطة جبانة ، عاجزة عن الرفض ، عاجزة عن القبول .

سامحك الله يا أبى . كنت تريد التخلص من بناتك بأى ثمن . كنت فقيرا والفقر غول يقتات الضعفاء . يقتل فيهم الاحساس والعقل والتفكير والارادة . كنت ككل الفقراء حين يكتسحك الملل ومرارة الحياة . كنت تحتسى كؤوس الشاى وتمارس لعبة الحب مع أمى لتروح عن نفسك . هذه كانت التسلية

الوحيدة المتوفرة لديكم معشر الفقراء ! وبدأنا ننزلق الى الوجود وأنت تبتسم ببلاهة وحمق دون أن تدرى أن انجاب الاطفال مسؤولية كبرى ، تبتسم دون أن تدرى بأن الحياة ستتطور والافكار ستتغير والكل يتغير ولن نقوى على العيشة مثلما عشت أنت وأمى ولن نقبل الزواج بنفس الطريقة . وفى يوم اغبر افقت من غفوتك لتجد خمس بنات وثلاثة أولاد يملؤون عليك البيت الصغير . واحترت كيف توفر لنا لقمة العيش ومصاريف الدراسة . وحتى وسائل تحديد النسل ، لم يعد بامكانك الاستنجاد بها ، فاتك الاوان !

بت تفكر فى وسيلة أخرى تخفف عنك الحمل الثقيل ، تقفزت الى ذهنك فكرة الزواج : الحل وطريق الخلاص الوحيد . ظللت تنتظر أبناء الحلال الذين سيريحونك منا ، ولم يطل الانتظار ، زوجت أختى الكبرى لاول راغب وعقدت قرانى على محمد وأوقعتنى عصفورة غريرة فى قفص من حديد لا تقوى على تحطيم قضبانه ، لاتقوى على الهروب .

مرت العطلة الصيفية رتيبة مضجرة والتحقت باحدى المدارس السياحية هروبا من الذكرى ومن الجو الخانق واذا بالذكرى تلاحقنى تضغط على قلبى وتكبت أنفاسى ، تعذبنى ، تؤرقنى وتحطم دماغى من كثرة التفكير ، واذا بالمشكلة تصبح مشكلتين . التقيت بعادل أحببته كما أحبنى حبا طاهرا نزيها وكانت علاقتنا سامية . أعطانى الكثير من نفسه ومن وقته وعلمنى أشياء كثيرة كنت أجلها . لم يحاول أن يستغل ضعف شخصيتى وقلة وعيى ، علمنى بأن الحب الصادق تضحية وعطاء دائم دون التفكير فى المقابل ، علمنى بأن الهروب من الواقع والمشكلة جبن ، وبأن المواجهة والتصدى هما البديل الذى يجب أن نطرحه .

توقف القطار فى المحطة وبدأ فى قذف ما فى جوفه الى الرصيف وأنا فى غفوة عن ذلك . لكزتنى صديقتى بمرفقها قالت : « ألا تنوين النزول » . أفقت من غفوتى وقلت : « بلى لقد سرحت فى متاهات مشاكلى المتأزمة ونسيت نفسى » تناولت حقيبتى ونزلت وعلى الرصيف المقابل كان عادل يجول ببصره بين المسافرين باحثا عنى . انفرجت شفتاه عن ابتسامة عريضة حين رآنى واندفع نحوى كطفل صغير يسارع الى أحضان أمه ، ابتسمت أنا بدورى وتسارعت دقات قلبى حتى أحسسته ينتفض بين ضلوعى محاولا كسرها . نطق عادل والفرح الطفولى يستقر على صفحة وجهه :

ـ أهلا .. ما الذى أخرك الى الآن ؟ لقد خفت أن لا تأتى وقلقت علَيك كثيرا .

ـ لا موجب لذلك . أنا بخير ، وأنت ؟

ـ أنت أدرى بحالى وبالمخاوف التى تقض مضجعى كل ليلة ، متى ينـزاح هذا الكابوس وأحس أنك لى وحدى لا يزاحمنى فيك أحد ؟ وأنا أضع خـاتم الخطوبة فى اصبعك .. متى .؟

ـ لم كل هذا ؟ وأنت تعلم بأنى أحبك أنت ولن أكون لسواك . ألم أقل لك من البداية بأنه ذبابة تقلق راحتى وتعكر صفوى وسأنفضها عن عارضى ؟ ألم أقل لك بـأن خطبتـى له كانت حماقة ارتكبها أبى وساعدته أنا بضعـف شخصيتى وموقفى الانهزامى ؟

ـ أعـرف لكن متى يحدث ذلـك ؟ أشعـر أحيانا بأنـك تتلهين بعواطفـى وترقصين على أعصابى .

ـ عادل أرجوك يكفى ، يظهر أنك لم تعرفنى جيدا . أنالن أتزوجه مهما يكن لأنى لا أستطيع أن أتزوج رجلا .. وأن يضمنا سرير واحـد وقلبى يعـانق قلب رجل آخر .

ـ اذن انتظر منك جوابا صريحا ونهائيا . عندما تعودين ليس بامكانى أن انتظر أكثر مما انتظرت .

ـ ثق بأنى أقاسمك نفس الشعور ولكن ما حيلتى ؟ لو كان غريبا عن العائلة لسهل الامر ، فأبى رجل عنود لا يقبل النقاش ولا يتراجع فى أقواله وأفعاله حتى وان كانت خاطئة وكان هو مقتنعا بذلك . هكذا كل الآباء نظل أمامهم برغم تعلمنا وثقافتنا وقوة ادراكنا وفهمنا للاشياء ، برغم كبر سننا نظل فى نظرهم أطفالا لهم الحق فى اختيار لعبنا ، طعامنا ، لباسنا ، وحين نكبر يزوجوننا بمن يريدون ! وعلينا أن نوافق دون نقاش ونصمت وآلاف البراكين تستعر بداخلنا ، نحاول اطفاءها ببكاء صامت ودموع غزيرة نـذرفها تحت الاغطيـة حين ننام ، وتزداد البراكين تفجرا ويزداد الوضع تأزما وتتسع الهوة بين الآباء والبنين .

لم لا يتركوننا نختار ونتحمل نتيجة الاختيار ! أبى فى البيت ، غول يخافه الجميع ، حتى أمى لا تقوى على مجابهته ، وفى عمله يحنى الجبهة لرؤسائـه

ويتقبل الاوامر بخضوع تام ! اختى سميرة ، عندما تتحدث عن أبـى تنعتـه بالارهابى . انها طالبة فى كلية الحقوق . لقد وعدتنى عندما عدت فى المـرة الفارطة وقصصت عليها قصتى معك بأن تحاول اقناع أبى وتجعله يوافق على فسخ الخطوبـــة .

ـ غريب أمرك ! وغريبة أنت ! يا من أحببتك وأوقعتنى فى دوامة الحيرة والقلق والخوف اللامتناهى ، الخوف من ان تتركينى ذات يوم كسير الجنـاح كيف توكلين مشاكلك للآخرين يحلونها وتقفين أنت مكتوفة الايدى تنتظرين ؟ لم لا تقاومين ؟! لم لا تتصدين لأبيك ولهذا الحيوان الآدمى الذى يريدك دمية لا قلب لا تفكير ما دمت لا تحبينه وما دمت مقتنعة فى قرارة أعماقك بأن قولة : « لا » هى الحل البديل !؟

رافقنى عادل الى محطة الحافلات ثم ودعنى على مضض . صعدت الى الحافلة التى ستقلنى الى مدينتى وعيناى تتابعانه الى ان اختفى .

ترى ما الذى تخبئه لنا الايام ؟ أترانا سنرسى على شاطىء الطمأنينة ؟ أم سنظل تائهين بين أمواج الحياة نبحث عن منقذ للخلاص ؟

دليلـة الزيتونى

أفريل 1980

فـى الأعـــداد القـــادمـة

ننشر فى الأعداد القادمة الفصول الباقية من دراســة الدكتـور الهادى حمودة الغزى التى بعنوان :

« الحياة الأدبية والفكرية فى القرن 18 و 19 بالوطن القبلى »

أيّ شكلٍ لكِ الآن ؟

شعر : محمد رضا جلالي

دمك الصّفحاتُ عليْه تَنُطُّ اللُّغاتُ وتَنْهَمِرُ الكلماتُ جزافًا ونحنُ الصّراصيرُ ..

نَنْثالُ مثلَ الذّباب علَى وجهكِ العَسَلِيِّ ونَرْقُصُ في ساحة اللّغْو تنكأ فينَا المسَاميرُ ..

بينَ المَرَاثِي نُغازِلُ زيفَ الحروف ونقبعُ في قبّة الصّمت حينَ تجنّ الأعَاصيرُ ..

نزرَعُ في البُور أصْوَاتَنَا ..

نَرْبطُ الجُرْحَ بالجُرْح ، ندمنُ سمّ الشّعارات في لحظة الإنيهارِ ..

نَدُورُ معَ الرّيح حيث تدورُ ونُجهضُ حمحمة الشّمس قبل اندلاع النهارِ ..

أرَى الإختبال يُزَغْرِدُ في مأتم الوعيِ ، يجتاحُ بالخزيِ كلّ الوجوه فأيّ نـبِيٍّ ..

ويُفجّرُ مملكةَ المَاء بينَ شفاه الصّحارى ؟

يتشظّى بعِشْقِهِ فِي جُرْحِكِ القبلِيْ

وأيّ فتًى يولَدُ الآنَ من رحِمِ الوجْع حتّى يُغَربلَ من حزننا عُرسك العرَبِيْ ؟

آه .. !! عنكِ أفتّشُ فيكِ ..
وأصبحُ نورسة تتنشّقُ وهجَ البحارِ ..
فهلْ أنتِ «موسى».. يلوّح عبر الصّوارى
يصارع غولَ الأكاذيب .. حبلَ الألاعيب ، موجَ الجنونْ
يفجّرُ رعْدَ التوهّج فينـا
فيغرق .. «فرعون والتابعون»..

* * *

تعبٌ ..
هَا أنَا الآنَ أسْحَبُ عارَكِ فوق الرمَالْ
والولاياتُ قَدْ منَحَتْ قاتليهَا
عَذَارى وأوسمةً من ضلوع بَنيهَا
تُصفّقُ للثأر دَوْمًا ودومًا
وتنْرَتَدَ حينَ يجيءُ القتالْ ..
ألا .. أيّ شكلٍ لك الآنَ .. ؟؟
بَعْضُك يطعنُ بعضَك ..
يمحقُ بعضك ..
يسحقُ بعضك ..
هذَا يمينٌ وهذَا شِمَالْ

* * *

أتبَعْثَرُ بينَ صَحَاريكِ ممْتَاثًا بلهاث الصّعاليك والغربَاءْ ..

أتـجرّعُ مِنْ عطـشِي
أتلمّظُ أمْـلاحَ حزْنِي إلى الإرتـواءْ
يتمـشّرُ بـعْضي ببَعـضي ..
وفي حضرة الرفض أنحت في رقعة الأرض :
أنّي أخو الـفقـراءْ
رايـتي بين هـذي العـواصم أرديـة البـؤساءْ
قد تـوزعتُ بينَ المُحيط وبينَ الخليج ولغّمتُ بالعشق ذاتي ..
ولكنّ هذي العشائر ،، هـذي القبائل قد لفظتني وما فجّرَتْني ..
فـآهِ اجمعيني ولمّي شتاتـي ..
أنـا قَدْ تلاشيْتُ مثل النّـداءْ
وخُـذي فـيّ شكلَ التـوحّـد
أنـت النّـهايـةُ والإبـتـداءْ

محمد رضا جلال

ننشر في الاعداد القادمة

شعر : البشير المشرقي .... من أغاني سيزيف الجديد .
شعر : عبد الحميد خريف .... من ديوان الأطفال

فليشرب الجمل الذي منح الحياة

شعر : علاّله الشنوفي

آتيك من بيت السماء غمامة
تجرى اخضرارا فى شعوب صباك
لا تسالى عن جلد برق مد فى جلدى الجروح الدافقات
إن تنثرى تلك اللآلئ فى التراب
فارمى بنار الحزن فى ماء الحياة
ولتعصرينى فى دفين لظاك

* * *

آتيك من شمس المغارب مشرقا
اجرى شعاعا فى تخوم مداك
لا تنظرينى إن ظفرت باعينى
اخشى عل جفنيك نيران الشهاب
إن داهمتك بدربك الوعر الطويل مخاطر
فلتنشرينى كى انير خطاك

* * *

آتيك من صلب الجمال محاسنا
تلتف حولك كالتفاف رداك
لا تفزعى إن راودتك لنفسها
حلو اللباس يفيض حلو بهاك
حتى إذا أنجبت مولودا ، زكى
تحت النخيل نشق قلب ردَاك

* * *

آتيك من بين الشروخ زلازلا
تطوى صروحا من كثيف ضناك
إن هزت الأرض الثقيلة ردفها
وتمايلت سكرانة تنفض الثياب
فلترقصى حتى يدك الصبح أوتاد الضباب
ولتلتهمنى ـ ما ظمئت ـ يداك

* * *

آتيك من رحم الزمان شرارة
قد أسكنتها الشمس أهداب الضحى
إن كذبوك فأعرضوا عند اللقاء
إن طالبوك بمعجزات
أرمى على الأرض الشراره
تجتث فى عنف سميك دجاك

* * *

إن جئت وابن الريب يسعى حاملا جنازه
وسكبت نهرا فى بجيل ثراك
فليشرب الجمل الذى منح الحياه
ولتغرسينى نخلة
ولتسكنينى فى الرياح
فلأعضدن العشب فيك صغيرة ووحيده
ولأقطعن العقم من رحم البطاح
فاذا الثمار تبرجت بين المفاتن والوشاح
فلتذكرى من كان فحل جناك

علاله القنونى

مطالعات

بناء الذات والذاتية في "قضايا ابن سلامة"
أو
الوطنية الحق عقيدة وعمل

بقلم : عبد العزيز الهابي

لن يكون حديثي عن الذات بمفهوم المعتزلة اذ يقابلونها بالصفات ولا بمفهوم الصوفية اذ يتعشقونها ويتحرقون عبادة لها وفناء فيها ، بل ما أقصده بالذات هو ذلك المفهوم المستحدث الذى ظهر فى أوربا والعالم الاسلامى بعد الحرب العالمية الثانية أى بعد افلاس بعض لتكتلات العسكرية والسياسية وانحلال الامبراطورية العثمانية وظهور ما يسمى بالقوميات او الوطنيات فى البلدان المولى عليها والمستعمرة من قبل الامبراطوريات التقليدية ، وقد كان المثقفون بل ما يعبر عنهم بالنخبة أمام تساؤل كبير هو : ما السبيل الى تخليص الذات الفردية والجماعية من كابوس الاستعمار التوطينى والمقنع وما السبيل الى الحفاظ على الذاتية واستقلالها بعد الحصول على الاستقلال السياسى ؟ وكيف ينبغى المحافظة على الذات من الذوبان لتركيز الذاتية ؟ ان المطلع على التفكير السياسى والاجتماعى التونسى

---

(1) **قضايا :** كتاب ألفه الاستاذ البشير بن سلامة ونشرته الدار العربية للكتاب فى جويلية 1977 .

لواجد أصداء هذه المسالـة فيما قامت به النخبة التونسيـة طيلة هذا القرن باقلامها او سجلته بأعمالها وتضحياتها وأرواحها أيضا ولنذكر بقضية الحجاب والسفور فقط لنجد ان النخبـة الثقـافية والسياسية عالجت هذا الموضوع ، فلئن نشر الطاهر الحداد كتابه المعروف لدينا الآن « امرأتنـا في الشـريعة والمجتمع » فان المحامي الشاب الحبيب بورقيبة حبر فصلا في جريدة العلم التونسي عن الحجاب (2) .

كما نجـد مقالات العالم الأدبـي والمباحث والندوة تـدور حول موضوع الحفاظ على الكيان من الذوبان(3)وتركيز القومية التونسية والدفاع عن اصالة الحضارة العربية الاسلامية ، ثم ظهرت مجلة الفكر فأولت للذات والذاتية عناية فائقة ، ولا عجب ان يلتصق هذا المفهوم بتفكير البشير بن سلامة اذا علمنا انه من القلة المساعدة لمؤسس الفكر محمـد مـزالي في خريف 1955 . ثم اني لن أتحدث عن كتابه المخصص لهذا الموضوع بعنوان « الشخصية التونسيـة » (4) لاني اهتممت منذ ست سنوات بالجانب الفني في الكتـاب (5) من جهـة ولان نفس القضية المحورية التي خصص لهـا كتابا نجدها مبثوثة في كتابـه الجديد الصادر سنة 1977 والمهدى الـى « الناس جميعـا » والجامع لشتـات مقالات حبرهـا المؤلـف في شكـل دراسـات أو القاها محاضـرات بتونس وخارجها أو أجاب عـن استيضاح السائليـن ، ورغم الفروق الظاهـرة ، بين هذه المقالات ، فان القارىء اللبيب يهتدي ـ اذا تحرر من الاحكام المسبقة ومن التسرع في الحكم ـ الى ما يربط بين تلك القضايا من علاقة رحم وان كتبـت على مدى خمس عشرة سنة ، كما انـه يكتشف السبب الاصلي الدافع الـى جمعها خوفا من « انقطاع السند » على حد تعبير ابن خلدون ، ذلك هو كتاب « قضايا » الذي قسمه المؤلف الى ثلاثة محاور سمـى :

أولها : قضايا مصيرية

---

(2) جريدة العلم التونسـي .

(3) انظر تأصيلا لكيـان ـ لمحمود المسعدي (179 صفحة ـ نشـر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد اللـه)

(4) الشخصية التونسية خصائصها ومقوماتها : نشر وتوزيع عبد الكريـم بن عبد الله 267 صفحة .

(5) انظر مجلة الفكر السنة 20 العدد 8 ماى 1975 (طبعة المبحـث ومبنـاه في الشخصية التونسية) .

وثانيها : قضايا أدبية ولغوية

وثالثها قضايا ونقد

ورغم هذا التقسيم الظاهرى فان الكتاب يشكل رؤية واحدة حول قضية واحدة فـي اعتقادى هـذه الرؤيـة هى تركيز الذات لصيانـة الذاتية وتلك القضية هى التزام المثقف ازاء قضايا مجتمعه .

ان اول ملاحظة تلفت الانتباه هى الشبـه الموجود بين هذه المقالات وبين مؤلفات الاستاذ محمد مزالى وخاصة « من وحى الفكر » « ومواقف » « ووجهات نظـر » لسبب واحد أعتبره اتفاق الكاتبين علـى نظرة متشابهـة للانسان والكون والقيم ناتجة عن عشرتهما الطويلة فكريا وعمليـا . ثم ان هذه المقالات التـى تبلغ العشرين بالاضافة الى استجوابين رغم تباين المحاور تنتقل مـن التربية الى الاستعمار الى المرأة الـى الاسلام الى ازمة النشر والنقد والادب النسائى الى المؤتمرات الادبية والثقافية الى المواضيع التاريخية تنم عـن وطنيـة الكـاتب زمـن تصديـه الى علاجهـا وحين صرف قلمه الى تحليلهـا والتحمس لها لانها على حد تعبيره (6) « قضايـا مصيرية تهمنا كأمـة تنشد الافضل فى اعتزازها بالانتماء الـى الأمة العربية الاسلامية ـ ذودا واحيـاء ـ وفى جهدها الى الانصهار فى حضارة العالم الانسانية وتضامنا وتشبثا بالقيـم أيضـــا » .

لذا سأقصر حديثى على أربعة محاور هـــى :

1 ـ ماهيــة الذات والذاتيــة ؟

2 ـ كيف نساهم فى بناء الذات والذاتية ؟

3 ـ أسباب اهتمام الكاتب بالذات والذاتية ؟

4 ـ نتائج هذا الاهتمام أو علاقة الكتابة بالوطنية ؟

أما عن ماهيــة الذات والذاتيــة فلن تجد مهمـا بحثت تحديدا بارزا لهما فى كتاب قضايا بل لم يذكر لفظ الذات الا مرة وحدة فى المقال الاول وهــو « صراع فكرى وادبى من أجل اثبات الذات » . (7)

---

(6) انظر مقدمة المؤلف ص 7 .

(7) وهو نص محاضرة القيت بنادى اتحاد الأدباء العراقيين ببغداد يوم الاثنين 1977/3/28 .

ومرة اخرى فى اشارة لطيفة اثناء استجواب المؤلف من قبل جريدة بلادى سماه « الشخصية التونسية » بين « جاحد ونصير » (8) .

ففى المقال الاول اثبت المؤلف ان البلاد التونسية حافظت على ذاتها رغم المحاولات الخمس فى تبديل وجهتها الحضارية العربية الاسلامية وقد بقيت صامدة ضد خطرين كادا فى كل مرة ان يفقداها توازنها ويزعزعا الكيان الذى ارتضته لنفسها بعد صراع مرير وهما الاصطدام بالحضارة الغربية مثل جميع البلدان العربية ومحاولة اذابة الشخصية التونسية فى شخصية غريبة عنها (9) .

وقد كان اعلام النهضة بلا منازع فى الفترة الاولى الوزير خير الدين التونسى مؤلف « أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك » وحركة الشباب التونسى التى تزعمها أبو النهضة الثانى البشير صفر وعلى باش حانبه ومحمد الاصرم وخير الدين بن مصطفى وحسن قلاتى وعبد الجليل الزاوش وعبد العزيز الثعالبى وغيرهم ، وقد حاولوا كلهم الخروج بالمجتمع التونسى من عصور الانحطاط من جهة والدفاع عن تونس من جهة ثانية ، ولم تحقق هذه الحركات اهدافها لقوة المعارضة الاستعمارية وحملات المسخ والتشويه والاستعمار . ولم يواصل الصراع من اجل اثبات الذات الا جيل جديد فى الثلاثينات أدرك ما يتهدد البلاد من اخطار المسخ والذوبان والاندثار وواجه هذا الجيل الخطرين على ثلاث مستويات : سياسيا ونقابيا وأدبيا . كان الميدان السياسى هو البارز لما علقته الجماهير عليه من آمال عراض لم ينحرف عنها قادته ابتداء من 1927 ولم يتنكر اليها منذ ذلك الزمن الى الآن وقد برز زعيم آنذاك . وصفه الكاتب (10) بانه طبع تونس بطابعه وفهم من وضع الشعب التونسى ونسق نظام الحماية وتاريخ البلاد ما لم يفهمه أحد قبله وأظهر من الخصال الاخلاقية ومن الحنكة والدراية والدهاء السياسى ما فاق غيره .

أما حديث المؤلف الثانى بعنوان « الشخصية التونسية » بين جاحد

---

(8) انظر قضايا ص 280

(9) قضايا ص 14 .

(10) ص 20 .

ونصير » (11) فيؤكد مرة اخرى على مقومات ثلاثة للذات التونسية هى الغربة اللغوية ونزعه حب التعليم وروح التعاون والمؤالفة .

على ان الحفاظ على الذات سبيل الى بناء الذاتية أو الشخصية أو الهوية فما هى الوسائل حسب المؤلف الكفيلة ببنائهـــا ؟.

ان البناء عملية صعبة ومعادلة شائكة لا بد ان تنطلق مـن التربية والتعليم لان ازمة التربية تنعكس جدليا على المربين والمتعلمين وغيـاب القيم الواضحة واشتباه السبل وغموض الاهداف لا يفضى الا الى الحيرة . لذا اكد الكاتب فى مقاله « أزمة التربيـة أزمة قيم » (12) بأن الخروج من أزمة التربية يكمـن فى حلين اولهما التعريب على مستويين مستوى الادارة ومستـوى البرامج ، والحل الثانى هو تونسة البرامج .

كما دعا المؤلف فى مجال بناء الذات الى تصحيح النظرة الى العقيدة حتى لا تشتبه السبل ويتقوقع المتدين فى برجه العاجى فيتعصب وتعمى بصيرته لانه اعتبر الدين شيئا معلقـا بين الارض والسمـاء ، وذلك فى مقاله بعنوان « الاسلام والوطنية أو اقرأ باسم ربك » (13) حيث ختمه بأسلوب بليغ معلنا أن لا اسلام الا بالوطنية فى معناها الواسع الشامل ولا دين الا بالمغالاة فـى محبة الوطن . أما المتقوقعين فاخوان الشياطين » .

كما ان المؤلف يرى ان بناء الذات يتم بتدريب شبابنا على الخلق والابداع فى كافة المجـالات وبالنقد المتواصل النزيه والتقويم المجـرد الجرىء لما تخطط اليه القيادة السياسية من برامج رائدنا فى ذلك محبة الوطن وتدعيـم أركان الدولة وسلامة مؤسساتها .

وفى الختام فان بناء الذات فى قضايا عمل متواصل متكامل بين النشـاط المادى والفكرى بصـرف النظر عـن جنس التونسـى وعن صفتـه وحرفته وثقافته ، ولننظر الآن فى أسباب اهتمام المؤلف بهذا الموضوع .

ان دواعـى المؤلف الى طرق هذه الموضوعات يعود فى اعتقادى الى ثلاثة أسباب ذكر أحدها المؤلف منذ المقدمة وهو خوفه مـن « انقطاع السند » اى افتقار الامـة الى مصلحين يتممون عمل مـن سبقهم ويسهرون على الذود عـن سر بقائهـا وقوتها ومناعتهـا . وثانيها انمـــاء المؤلف الى جيل الصادقيين

---

(11) ص 222 .

(12) ص 51 .

(13) انظر قضايـــا ص 97 .

المتشبعين بالثقافة العربية الاسلامية المتفتحة على الثقافة الغربية على النحو الذى أحبه خير الدين الذى أسس المعهد الصادقى منذ اكثر من قرن وقد تميزوا لا بحب الوطن والتضحية من اجله ماديا ومعنويا فحسب بل بتسخير مواهبهم العلمية والقانونية والفكرية الى مقاومة الاحتلال وتدعيم الاستقلال سياسيا ونقابيا واجتماعيا نذكر منهم البشير صفر وعلى باش حانبة والحبيب بورقيبة وعلى البلهوان ومحمود المسعدى ومحمد مزالى . أما السبب الثالث فهو رغبة الكاتب فى الخروج من التقوقع والانكماش فى مجال الاختصاص الى رحاب العمل الجماعى ثقافيا كان أو سياسيا او اجتماعيا أو نيابيا ، لذلك لم يقنع ابن سلامة خريج دار المعلمين العليا فى مادة اللغة العربية وآدابها بالتفرغ للتدريس فى المعاهد الثانوية شأن غيره من المجازين بل خرج الى رحاب العمل الجماعى فواكب « الفكر » منذ ان اسسها صديقه الوفى محمد مزالى واضطلع بمسؤوليات التأليف والترجمة وشارك فى تأسيس اتحاد الكتاب التونسيين كما تحمل اعباء المسؤولية السياسية ولا يزال فى نطاق الحزب الاشتراكى الدستورى منذ ربع قرن مما أهله لتعيينه عضوا بالديوان السياسى من قبل رئيس الحزب ، كما انه مثل جهته تشريعيا طيلة عشر سنوات مترجما عن طموحاتها وأشواقها .

وهذا يجرنا الى علاقة الكتابة بالوطنية فى « قضايا » أو بعبارة أخرى الى وطنية الكاتب وأسسها . فهل من علاقة عنده ؟

اذا انطلقنا من ان ابن سلامة ينتمى الى نخبة المثقفين المصلحين بتونس الذين تشابهوا فى مورد التكوين واتخذوا من الكتابة اداة نضال وتعبير عن القضايا المصيرية لا بذخا فكريا براق المظهر لا يغنى ولا يسمن من جهل وفراغ ، فانه مع ذلك جمع بين القول والفعل وبين العقيدة والتطبيق وما أعسره من جمع ، وانظر فى « قضاياه » أو فى كتبه الاخرى مع اختلاف المشارب تجد نزعة غالبة عليها هى خروج المثقف من صمته المضر ومن منزلة المتفرج السلبى الى منزلة المسؤول الطموح الى تغيير واقع الدين والدنيا والعقيدة والعمل . أليس لهذا النوع من الادميين يشير عز وجل فى كتابه الكريم منوها بالانسان القابل للامانة المضطلع بها فى جلد وشجاعة : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » سورة 33 آية 72 .

وفى الختام فان قيمة « قضايا » لا تظهر فى المحتوى فحسب بل انه مظهر آخر لفن المقالة الادبية بتونس جدير بالتحليل والنقد .

أضداء الفكر

● **محمد مزالي مفكر .. أديب .. رياضي .. مدرس ورئيس لوزراء تونس!**

تحت هذا العنوان نشرت جريدة « الهدف » في ركن ثقافة من عددها الصادر بتاريخ 24 يوليو 1980 اللقاء الذى أجرته الصحافية مفيدة حلمي مع الاستاذ محمد مزالي ، ننشره فيما يلي ليطلع عليه قراء مجلة « الفكر » :

يعتنــق الفكـــر .
يعشــق الرياضـــة ..
يحتـــرم المـــرأة ..
ويؤمـــن بالعروبــة والاســلام .
يلقبونه برجل المبادىء ..

هذه هي الملامــح الرئيسية لشخصيــة « محمد مزالـــي » ، الوزير الاول فــي البلــد الشقيــق تونس .

لم يكن لقائي الاول به ، فقد التقيت به في كل مرة زرت بها تونس ، ولكنه اللقاء الأول فــي نطاق المسؤوليــة المضاعفــة الملقــاة على عاتقه كرئيس للحكومة وأمين عــام للحـــزب .

تســـاؤل

لا أنكر ان القلق قد ساورنــي ، وأنا في طريقــي الى مكتبه بحى القصبــة بــالوزارة الأولــي . وتساءلت بينــي وبين نفســي : هــل تغيــر المناصب الرجـــال ؟

هل سيغلف لقائي بهذا الرجل الذى عرفته بشوشا ، ودودا ، يتمتع بروح رياضية عالية هل سيغلف لقائي بــه الطابع الرسمــي التقليدى الذى يكســو الامور بطبقة جليدية ؟

هل سيحرمني البروتوكول فرصة الحوار المفتوح ، مع صاحب الفكر الذى طالما جلست اليه سابقا ، مبهورة بغزارة علمه .. وفكره وتعاطفه مع كل ما هو آت من المشرق ؟

.. وحيــــرة !

وظلت الحيرة تلازمني بعد ان صاحبني السيدان رضا بن سلامة من الوزارة الأولى والمنصف المؤدب من وزارة الاخبار . ووجدت بانتظاري فى القاعة التى سيجرى فيها اللقاء زملاء المهنة من صحافة واذاعة ، وتلفزيون لتسجيل لقائى مع وزيرهم الأول .

ووصل .. بشاشته تسبق خطواته ، وابتسامته الودودة تنطق بكل الترحاب .. وذاب قلقى وجاء الرد سريعا : لا .. ان المناصب لم تغير هذا الرجل .

مـن هـو مزالـــى ؟

للسيد محمد مزالى أكثر من جانب ، فهو رجل السياسة المحنك الذى تقلب فى المناصب الحكومية كمسؤول أول عن قطاعات خطيرة وهامة كالدفاع الوطنى ، التربية القومية ، الصحة العمومية ، الشباب والرياضة ، الى جانب الحضور الدائم فى المراكز القيادية بالحزب الاشتراكى الدستورى .

ومحمد مزالى المفكر الاديب الذى أثرى الحياة الفكرية التونسية بنتاج خصب ، واقدم على انشاء مجلة ادبية فى وقت كانت تعتبر فيه مثل هذه المبادرة مغامرة .. ولكن المغامرة نجحت .. واصبح عمرها خمسة وعشرين عاما . وفى هذه الايام تحتفل مجلة « الفكـــر » بعيدها الفضى .

● الرياضى قولا وفعلا وتشهد على ذلك التمارين اليومية الصباحية الدورية التى يقطع خلالها عشرات الكيلو مترات ركضا على الاقدام .. وهذا ليس بغريب ، من رجل تجاوزت شهرته الرياضية حدود تونس ، فانتخب رئيسا للجنة العاب البحر الابيض المتوسط ، ونائبا لرئيس اللجنة الاولمبية الدوليـــة .

محمد مزالى الذى أرسى قواعد التعريب ، ورسخ معالم الشخصية العربية الاسلامية فى برامج التعليم التونسى بدافع من شعوره العميق بالانتماء الى الحضارة العربية الاسلامية .

● نصير المرأة والتــي أفرد لها مكانة خاصــة فى خطابه الحكومــى أمام مجلس الامة بعد استلامه رئاسة الحكومة وامانة الحزب .

التحايـل على القانـون

● **السيد مزالى من ايـن نبـــدأ ؟**

وابتسم الرجل قائلا : من المرأة فالاتيكيت يفرض هذا .

● **أشكـــــرك**

وقال : قوانين الاحوال الشخصية تحمى المرأة ، ولكن للاسف هناك تحايل يحرم المرأة من التمتع بحقوقها التى كفلها لها القانون ، لا بـد من احتـرام القوانين وتوفير الاطمئنـــان للمرأة نحن نطالبها بالكثير ، ولا نمكنها من الحد الادنى من الاطمئنان .. وستطبق القوانين بصورة فى منطوقها وفى مفهومها .. وقد افردت فى خطابى الحكومى امام مجلس الامة هذه الفقرة الخاصة بالمرأة : « ان الحكومة عازمة على اتخاذ الاجراءات الضرورية الكفيلة بتطبيق القوانين بصورة انجع فى نصها وفى مضمونها على وجه الخصوص وذلك حتى تكتمـل شخصية المرأة الاجتماعية ، اذ ان نجاح مخططات التنمية يقتضى ان نخاطب كل التونسيات اللاتى ينبغى الا ننسى انهن يمثلن نصف الشعب بلغـة الواقع والعدالة ، فينبغى الا نقتصر على مطالبتهن بالحد من الانجـاب . وبالتنقيص من الاستهلاك وبعدم التهافت علـى العمل دون ان نفرض على انفسنا مقابـل ذلك تمكينهـن من حد ادنى من الامن .. بضمان حقهن فى الثقافة والتكويـن وتوفير الظـروف الملائمـة التـى تساعدهن ، علـى ان يعشن عيشا كريمـا متمتعات بموارد يحصل معها لهن الاطمئنان » .

المرأة بخيـــر !

● **وهل سيأتى قريبا يوم نسمع فيه خبر تعيين المرأة التونسية وزيرة ؟**

ابتسم قائلا : أنا لا أرى فى هذا أى ضير وسيأتى يوم يتحقق فيه هذا مـا دامت الكفاءة والمقدرة موجودتين عند المرأة كما هما عند الرجل .. والدليـل انه فى الانتخابات البلدية مؤخرا نجحت مائتا سيدة . وفـازت واحدة منهـن ولاول مرة برئاسة البلدية ، وهى استاذة طب وطبيبـة قلب . وهناك امـراة انتخبت نقيبة للصيادلـة الرجال .. ليس لغرض سياســى ولكن بالاختيار . وهناك عميدة لكلية الطب بسوسة . وغيرهن كثيـرات فى مراكـز قيـادية اطمئنى فالمرأة التونسية بخير .

الفكـــر والادب

● فكرنا العربى وادبنا القومـــى ؟

ـ هناك علامة استفهام حول فكرنا العربى وأدبنا القومى فالتيارات التـى تتجاذبهما كثيرة . هناك تيار لا أحبه ، وهو تيار اليأس ، والاستسلام نتيجـة ما يجرى ، أو ما جرى فى الساحة العربيـة من هزائـم مختلفـة .. يأس مـن الوحدة .. يأس من النهضة .. يأس مـن حل القضية الفلسطينيـة .. يـأس من القدرة على مواجهة الاداب العالمية ، والابداع مثلها ، وهـذا ينتـج عنـه مخاطر استهلاك آداب الغير من دون ان ننتج نحن شيئا .

وقليلـون هم الادباء الذين لا يزالون مؤمنين بمستقبـل أفضـل للعـرب والمسلمين ، والعالم الثالث . والذين لا يزالون يعملون من اجل توحيد كلمة الادباء .. وقليلون أيضا هم القادرون على الصبـر والمعاناة بهدف الابتكـار والابـداع . فالانتاج العربى كثيـر ، والروائع قليلة ، وقد يوجد شىء آخر لا اعلمه .. فأنا لا ادعى اننى قادر على مطالعة كل ما ينشر ويقال .

مقاومة التشـــاؤم

اننى اؤكد علـى الثقة فى النفس والحرص على التمسك بأرضية مشتركة تجمع جيل الادباء رغم ما قد يباعد بينهم من اختيارات ايديلوجية ، أو مذاهب فلسفية ، او نظريات جمالية أو ذوقية تختلفـفى الاسلوب وتتحد فىالجوهر .. يجب أن نقاوم التشاؤم بموجـة من التفاؤل ، فرجل الفكر والادب يجـب ان يكون متفائـــلا .

● محمـد مزالـى والرياضـة ؟

ضحك قائلا : أنا رياضى ممارس .. أتعـاطى الريـاضة بالقلب والجوارح الرياضة لا تفيد البدن فقط بل النفس أيضا . وتجعل الانسان مسيطرا علـى جسده ... ونحن نعطى النشاط البدنى ، والرياضى حقه فى البرامج المدرسية كى ينشأ ابناؤنا نشأة متكاملة ، ويحصل لهم التوازن الضرورى بيـن الجسم والروح ، بل اننا نيسر لهم فـى المدرسة الحد الادنـى من العمـل الرياضى الذى بدونـه لا ينشط العقل .. ولا تصقل العـاطفـة ولا تقـوى الشخصيـة ولا لفرض نفسها فى معترك الحياة التى هى فى ناحية من نواحيهـا مبـاراة لا تنتهـــى .

واسأله : وماذا عندما يكون للزوج المسؤول زوجة مسؤولة ؟

فيجيب : كل منا يضع قدمه على جمرة المسؤولية ، ويتفهم الآخر .. فهي زميلة العمل بالجامعة وشريكة الكفاح الوطني ، وهي الأخت ، والأم والصديقة وليست الزوجة فقط .. وقد يتطلب عملها كرئيسة التنظيم النسائي وعضو الديوان السياسي ان تسافر لحضور المؤتمرات ، وأنا متقبل لهذا تماما كتقبلها هي لظروفي ومسؤولياتي .

أولاد تونس أولا !

● **والاولاد ؟**

ـ علاقات ودية سليمة . ربما تكون أخوية اكثر ، لقد كبروا الآن وهم :

مختار 29 سنة درس علوم الرياضيات ، الحبيب 28 سنة ، درس بدار المعلمين العليا ، هدى 26 سنة خريجة كلية الطب ، حاتم 25 سنة ، خريج اول دفعه للطب البيطري ، رفيق 23 سنة ، يدرس بالسنة الخامسة طب ، سارة 18 سنة في المرحلة الثانوية .

● **أيهما أصعب : تربية الاولاد ام البنات ؟**

ـ الاب يتعامل مع الابناء كل حسب تكوينه وشخصيته . وبهذا تختلف المعاملة مع فتاة دون الاخرى .. أو مع ولد دون الاخير .. الواقع ان أولادنا الكبار تمتعوا بوجودنا معهم وتفرغنا لهم وعندما كنا اساتذة في الجامعة كان هناك الوقت لرعاية الاولاد .. ولكن مع تضخم المسؤولية اهملنا اولادنا للاعتناء بكل اولاد تونس .

كبر الأولاد فتعلقت بالأحفاد

وهناك مفاجأة قد يرضيك ان تعرفيها .. فأنا الان جد لثلاثة احفاد : مراد ، سلمى وايناس ، وعلاقتي بهم اكثر من علاقتي بأولادي ، واتحمل منهم ما لا اتحمل من اولادي .

السياسة الخارجية :

● **محمد مزالي رجل السياسة المؤمن بالعروبة ، والاسلام ، ماذا عن سياستكم الخارجية ؟**

ـ ان انتماءنا الى الحضارة العربية الاسلامية يحتم علينا ان نقاسم الشعوب العربية والاسلامية آمالها ونضالاتها من أجل ترسيخ معنى الكرامة لديها

والحفاظ على هويتها .. وكلي امل ان غد العرب خير من أمسهم الدابر ويومهم الحاضر .. وحتى نتجاوز مشاكلنا .. ونتدرج بحزم وعزم نحو المستقبل المشترك الذى تنتظره منا شعوبنا سنواصل بذل الجهد لابقاء علاقات تتسم بحسن الجوار ، والاحترام المتبادل مع المجموعة المغربية كافة ، وسنظل نعمل لتيسير الانفراج فى العلاقات مع الاخوة الجيران على اساس احترام كل طرف للاخر ومراعاة اختياراته الاساسية ، وعدم التدخل فى شؤونه الداخلية . اما مع العالم فسياستنا الانفتاح أكثر على الدول الصديقة ودول عدم الانحياز وتبادل المصالح مع بقية الدول ونحن لا نضمر العداء لاحد .

● رئيس تحرير مجلة « الفكر » يعين وزيرا للثقافة :

فى مفتتح هذه السنة الجديدة 1981/1/3 عين المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة الاستاذ البشير بن سلامة رئيس تحرير مجلة « الفكر » وزيرا للشؤون الثقافية بتونس .

وبالمناسبة السارة هذه تتقدم أسرة تحرير مجلة « الفكر » الى رئيسها بأصدق التهانى وأحر التحيات راجية المولى أن يكلل جهوده بالتوفيق والنجاح لما فيه خير الثقافة التونسية خاصة والعربية عامة .

● كتب ومجلات :

فى هذا الركن نشرت جريدة « الفجر » التى تصدر فى (أبو ظبى) فى عددها الصادر بتاريخ 1980/12/11 كلمة عن مجلة « الفكر » جاء فيها ما يلى :

خصصت مجلة « الفكر » التونسية عددا خاصا بمناسبة الاحتفال بمرور 25 سنة على تأسيسها وقد تضمن العدد الخاص الكلمات والدراسات والقصائد التى القيت فى الحفل الخاص الذى اقيم بهذه المناسبة على شرف صاحبها رئيس الوزراء التونسى الأديب محمد مزالى وقد كانت الفكر مجالا حرا فريدا لتطور الأدب التونسى وازدهاره على اختلاف منازعه واتجاهاته . كما شهدت الفكر ولادة العديد من رجال الأدب فى تونس والعديد من الاتجاهات الأدبية الخصبة التى عمل صاحب الفكر على تشجيعها لما عرف عنه من تشجيع لحرية الفكر والكلمة الصادقة .

● **مجلة « الفكر » التونسية فى عيدها الفضى :**

تحت هـذا العنوان نشرت جريدة « الوطـــن » بتاريخ : 28 أكتوبـر 1980 بقلم الاستاذ عاطف عوده ما يلى :

الحركة الثقافية التونسية المعاصرة مدينة لمجلة « الفكر » الادبية التى تحتفل بعيدها الفضى هده الايام ، فمنذ صدور العدد الاول من هذه المجلة عام 1955 وهى تحمل لواء الثقافة التونسية الحديثة بجانب نشاطها الثقافى المتنــوع ، إذ ساهمت هذه المجلة الادبية فى التعريف بالحركة الادبية فى الوطن العربى وسعت طوال ربع قرن جاهدة الى تحقيق نوع من التوازن الدقيق لدى القارىء عبر تسهيل نشر الثقافة العربية ، فبدون شك كانت الثقافة الفرنسية تحظى بالاهتمام لدى الكثير من المثقفين التونسيين نتيجة انتشار اللغــة الفرنسية وانحسار اللغة الأم ـ العربية منذ استقلال تونس سعت مجموعة من المثقفين الى بعث مجلة فكرية عربية تعالج مختلف القضايا الادبية وتحتضن المـواهب الشابة وتشجعها ومن ابرز اعضاء أسرة هذه المجلة الاستاذ محمد مزالى رئيس وزراء تونس الذى يديرها ويحرر افتتاحيتها باستمرار .

ومنذ العدد الاول عام 1955 أخذت الحياة الادبية فى تونس منعرجا جديدا ، فقد أصبح بامكان المبدعين نشر انتاجهم والتعرف على ما يدور فى بقية الوطن وكانت هذه العملية هامة جدا اذ مدت الجسور من جديد وساهمت بشكل فعال فى تنشيط الحياة الثقافية .

وفى بداية أكتوبر 1980 صدر العدد الاول من مجلة «الفكر» فى سنتها السادسة والعشرين وتميز هذا العدد باستعراض تجربة المجلة طوال ربع قرن بالاضافة الى المواضيع الادبية المعتادة واعادت المجلة نشر عدة مقالات للاستــاذ محمـد مزالى منها ـ فى الثورة الجزائرية وتحية الى الكتاب والصحفيين الفلسطينيين بمناسبة انعقاد مؤتمرهم الثانى فى تونس عام 1977 ومقال أخير بعنــوان : من أجل حوار حقيقى بين الشرق والغرب .

والمعلوم ان المجلة طوال مسيرتها الثقافية أصدرت أعدادا خاصة عن الحركة الادبية الفلسطينية والادب الجزائرى المقاوم كما انها ســاهمت فى التعـريف بالحركة الثقافية فى مختلف اقطار الوطن العربى ، وكانت بذلك رائدة فى هذا المجال فى تونس ، وبمناسبة احتفال « الفكـر » بعيدها الفضى أقيم مهرجان

كبير في تونس حضره عدد من رجال الفكر والادب في الوطن العربي تخللته ندوة شعرية انتظمت في قصر المؤتمرات بالعاصمة ، كما انتظم مهرجان خطابي تحدث فيه السيد محمد مزالي رئيس وزراء تونس وعدد من المسؤولين التونسيين وألقيت كلمات من فلسطين والجزائر ومنظمة التربية والعلوم التي مقرها تونس وشارك في الاحتفال أيضا السيد الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية ، وفي قصر المؤتمرات أقيم معرض تاريخي سجلت فيه أهم المراحل التي مرت بها مجلة « الفكر » طوال ربع قرن .

وجاء في كلمة مزالي في المهرجان : « لم نضع أنفسنا في سجن مذهبي ولم نتعصب لمذهب أو لجيل أو لمدرسة دون غيرها بل أردنا أن تكون للفكر صولة وجولة واقدام وقدرة على الابتكار والنقد ، فلقد فتحنا وتسامحنا وتقبلنا ألوان الانتاج من غير ان نحكم على ذلك الانتاج من حيث وجهة مذهبية بل نظرنا اليه من وجهة الصدق والاصالة والخلق الادبي والرفعة والابتكار ،. وقد نكون أخطأنا وقد أصبنا في ذلك اذ نحن لسنا مطالبين بالعصمة ونحن لا نرى مانعا من أن يكون لغيرنا تفكير يغاير تفكيرنا ، وإن ما نطلبه من هؤلاء ان يتفهمونا ويتقبلوا مثلما نتفهمهم ونتقبلهم والبقاء للاصلح والحكم للتاريخ » .

● **تحية « الهداية » :**

.. وهدى الفكر من زمان قديم رحمة الله أن يعم الوبال
ومن الفكر ثورة لم تسعها ابحر الارض والربا والجبال

بهذين البيتين من الشعر افتتحت مجلة « الهداية » في عددها 3 س 8 الصادر في جانفي 1980 الكلمة التي نشرتها في ركن خاص يحمل عنوانا أوليا « على هامش الذكرى الخامسة والعشرين لمجلة الفكر » وهذا نص الكلمة :

تلك هي مجلة « الفكر » في عرسها الخامس والعشرين وهي ـ كما حدد رسالتها مؤسسها ومديرها الاستاذ محمد مزالي : « ملتقى لأسرة الأدباء والمفكرين ومنبر لكل الآراء الصادقة والأفكار النيرة ، ورائدة في اثراء التراث الفكري في الوطن الأصغر والوطن الأكبر .

وهي لم تزل منذ نشأتها مخلصة لما اتخذته لنفسها من المثل والقيم حتى

تحقق تحقيقا كاملا رسالتها التى وضعت لها وتؤدى واجبها فى حرية ونزاهة » . (1)

ومجلة « **الهداية** » حين تذكر مجلة « **الفكر** » تذكر ما احدثته من رجة ايقظت العقول وحركت الاقلام . وانطلقت السنة **الحق** بالاعجاب بها .

وها هى تثبت للملأ من رجال الفكر واللغة والاسلام فى تونس اقليما وفى الشرق عروبة وفى العالم الاسلامى أمة انها جديرة بأن تمثل تيارا تونسيا عربيا اسلاميا سليم الرؤية متين الجوهر عميق الابعاد .

وقد اثبتت مجلة « **الفكر** » بالدليل واعطت المثال بأن المجلات الثقافية بامكانها أن تستمر حية فعالة متفاعلة اذا حافظت على طابع واضح وتمسكت بالجوهر والملاينة فى الاساليب ، ولقد كانت مجلة « **الفكر** » بكل جد تزخر بالعروبة الدافقة المتدفقة بلا عنجهية ولا ديماغوجية . وفيها الانتماء الحق لحرارة الاسلام فى عمقه وجوهريته بلا غلو ولا مغالاة وبلا اندفاع وتهور .

و « **الهداية** » اذ تحيى زميلتها « **الفكر** » فى عيدها الفضى لتعاهدها على ان تسير على نهجها الفكرى وتستوحى من « **الفكر** » عناصر الفكر التونسى لتستمر شموع « **الفكر** » و « **الهداية** » وضاءة مضيئة لدهاليز الظلام واعشاش الجهل ومظاهر التطرف .

● **مجلة « اقرأ » والعيد الفضى للفكر :**

« اقرأ » هى مجلة سعودية يرأس تحريرها السيد عبد الله مناع . اهتمت بالعيد الفضى للفكر وعلقت عليه فى العدد 297 ، الخميس 20 نوفمبر 1980 تحت عنوان: « الرأى الخاص » كما يلى :

المعنيون بشؤون الفكر والادب خارج (تونس) هم الذين يعلمون بأن السيد (محمد مزالى) الذى خلف فى فيفرى الماضى السيد الهادى نويرة فى رئاسة الوزارة التونسية : أديب ومفكر وكاتب .. انه صاحب ومؤسس مجلة (الفكر) التونسية التى تحتفل هذه الايام « بيوبيلها » الفضى .. اى بمرور خمسة وعشرين عاما على صدورها ..

---

(1) « الفكر » س 5 ، ع 6 ، ص 1 ، بقلم : **الاستاذ محمد مزالى** .

ولا بد ان هؤلاء المعنيين بشؤون الفكر والادب .. كانوا (أول) المغتبطين باسناد منصب رئاسة الوزارة اليه . على اعتبار ان ذلك شهادة (انصاف) لهم جميعا .. تحررهم من مقولة : إن فرط مثالية الأديب والمفكر تربط قدراته على التنفيذ .. وان المناصب القيادية فى الحياة العامة تحتاج الى نسب متوازنة بين المثالية والواقعية يفتقر اليها كثير من الادباء والمفكرين بما يجعلهم أقوى على (التنظير) وأبعد عن (التنفيذ) .

ولقد ترسخ هذا الاعتقاد فى الوطن العربى من مشرقه الى مغربه .. حتى ان اكبر الادباء والمفكرين فيه لم يتجاوزوا فى سلم المناصب الوزارية .. وزارات معروفة محدودة كوزارات الثقافة والاعلام والتعليم ، ليأتى المفكر والاديب الاستاذ محمد مزالى فيقلب هذا الاعتقاد الراسخ رأسا على عقب ويترأس الحكومة التونسية فى لحظات بالغة الحساسية فى التاريخ التونسى المعاصر ..

ولكن السيد محمد مزالى ، لم يصبح رئيسا للحكومة التونسية ... لانه كان أديبا (كيفما اتفق) .. أو مفكرا (كيفما اتفق) .. أو كاتبا (كيفما اتفق) .. ولكنه كان أديبا (جادا) .. ومفكرا (بناء) .. وكاتبا حرا ملتزما صادقا مع نفسه ومع الآخرين .. سخر حياته الادبية والفكرية من أجل رفعة تونس وعزتها ورخائها وانتمائها العربى والاسلامى ، على طوال المواقع التى عبرت بها حياته ..

ولقد دعا « مزالى » الاديب والمفكر والكاتب الى (الاخلاص للفكر) والى (الحرية) والى (حرمة الانسان) والى (الرشد) والى (التمسك بالاسلام) .. وكان منذ البدء من المؤمنين بـ (الفكر) وقدرته على (وضع المشاكل الوضع الصحيح .. والى علاجها العلاج الناجع) .. وكان ممن يؤثرون (عظمة المعاناة) على سعادة الكسل والاسترخاء والاوهام .. بل وكان أحد الملحين على زملائه من الادباء والمفكرين والكتاب بأن يقوموا بـ (تعديل ساعاتهم) ــ كما قال ــ حتى لا تتجاوزهم الاحداث ويصيبهم الجمود .

● **مجلس الأمن يتخذ العربية لغة له !**

تصبح اللغة العربية سنة 1983 اللغة الرسمية السادسة بعد الانقليزية والفرنسية والاسبانية والروسية والصينية لمجلس الأمن والمجلس الاقتصادى والاجتماعى للأمم المتحدة .

وقد تمت المصادقة على هذا القرار يوم 1980/12/18 من قبل الجمعية

العامة في اليوم الأخير من أعمال دورتها الخامسة والثلاثين .

وقد طلبت 46 دولة الجمعية العامة بأن تمنح اللغة العربية نفس الوضع الذي تتمتع به اللغات الخمس الرسمية المذكورة آنفا .

وقد أبرز ممثل المغرب السيد راشد لحلو عند تقديمه مشروع اللائحة : ان اللغة العربية هي التي سمحت للعالم الذي يدعى بالمتطور بالخروج من سباته العميق والاستيحاء من علوم العرب ، والاستفادة عن طريق لغتهم من معارف الشعوب الأخرى .

ومن الملاحظ ان اللغة العربية ادخلت الى الجمعية العامة ولجانها الكبرى في ديسمبر 1973 .

● معهد لنشر الثقافة العربية والصقلية في بلارمو :

تبدأ دروس اللغة والحضارة العربية التي ينظمها معهد نشر الثقافة العربية والصقلية ببلارمو في العشرين من شهر أكتوبر . وكالمعتاد سيقود هذه الدروس أساتذة عرب وأساتذة من معهد الدراسات الشرقية بجامعة بلارمو ، كما ستضم محاورات حول الحضارة العربية والاسلام .

ثم ان معهد نشر الثقافة العربية والصقلية الذي كان قد بعث حوارا واسعا حول حضارة البحر الأبيض المتوسط بتنظيم دروس في الحضارات الاسبانية واليونانية الجديدة سيبدا عن قريب سلسلة دراسات في الادب الفرنكفوني .

وقد استحقت أعمال معهد نشر الثقافة العربية والصقلية فتح معاهد جديدة له في أوساط أخرى من صقلية وستبعث الأولى في غضون السنة في « انا » و « مرينايو » . وباتفاق مع كلية الماجستارو بجامعة بلارمو يضم برنامج معهد نشر الثقافة العربية والصقلية عرضا سنويا حول الشاشة في البلدان العربية وحوض البحر الأبيض المتوسط (وخارجه) لتوفير معرفة أعمق بفضل الصورة للبلدان القريبة من صقلية تاريخيا وجغرافيا .

ثم ان المشاركة في أعمال معهد نشر الثقافة العربية والصقلية واتباع الدروس تطلب الاكتتاب كشريك ، وهذا يستدعي دفعا ماليا سنويا . وتقبل الاشتراكات كل يوم (ما عدا السبت وأيام العطل) من الساعة 17،30 الى الساعة 20 بالمعهد بشارع ليبرتا 34 .

● موسـوعة ريـاضية عـربية :

تعكف لجنـة مختصة فى كليـة العلوم بجامعة الكويت على اعداد موسوعة للرياضيات باللغـة العربية ، وقـد طلب الدكتور فـوزى دنان رئيس لجنـة الموسوعة من مكتب تنسيق التعريب بالرباط تزويده بالمعاجم التى اصدرها المكتب فى الرياضيات (العام والعالى) ، والفلك ، والاحصـاء ، لاستخدامهـا كمصادر رئيسية لهذه الموسوعة .

● حفل تكريم الاستاذ البشير بن سلامة :

أقامت بلدية العاصمة يوم الخميس 16 جـانفى 1981 على شرف الاستـاذ البشير بن سلامة حفل تكريم بمناسبة تعيينـه وزيـرا للشـؤون الثقـافية بتونس . وقد حضر الحفل الأخوى جمـع هـام من رجـالات الثقـافة والادب والصحافة والاعلام . وقد ألقى بالمناسبة السيد رئيس بلدية العاصمة الاستاذ زكرياء بن مصطفى كلمة تنويه بالمحتفى به وترحيب بالضيوف الحاضرين . وقد عقب عليها الاستاذ البشيـر بن سـلامة بكلمة قيمـة بين فيها الآفـاق المستقبلية للثقافة ببلادنا والبرامج الحكومية لجعـل الثقـافة تدخـل الـدورة الاقتصادية للرفع من شأنها وجعلها طرفا فى تنمية الوطن وازدهاره وتقدم الانسان التونسى لصنع الاضافة الحضارية على أرض تونس الخضراء .

● نادى القصة واتحاد الكتاب التونسيين :

أقام نادى القصة بالاشتراك مع اتحاد الكتـاب التـونسيين حفـل تكريم للاستاذ البشير بن سلامة رئيس تحرير مجلة « الفكر » حفل تكريم بمناسبة تعيينه وزيرا للثقافة .

وقد حضر أعضاء اتحاد الكتاب وجمع من الصحافيين ورجال الاعلام الحفل الذى انتظم بدار الثقافة « أبـى القـاسم الشـابى » بالوردية يوم الخميس 1981/1/23 على الساعة الرابعة والنصف مساء .

● صدر العدد الجديد من مجلة « الأخلاء » :

أصدرت مجلة « الأخـلاء » عددها 11 ـ س 3 ـ جانفى 1981 خاصا بأول مجموعة قصصية للاديب على ساسى التى عنوانهـا : « رجل لم يقل كلمته » وتضم 18 عنوانا منها كلمة « الأخلاء » بقلم : الصادق شرف وقد تحدث فيها

عن معاناة صاحب هذه المجموعة مخاطبا القارىء قائلا :

فأنت حين تتمحور فى توجهات هذا القصاص تحس فورا بقدرته الفائقة على تجميعك ـ حيال أزمنة متعددة حد التنافر أحيانا ـ فى اللحظة التى تقرأ فيها هذه القصة أو تلك ، حيث يستطيع أن يواجهك بنفسك أو يواجه نفسك بك ، ومن خلال المواجهة السخنة تكتشف مجتمعك بمشاكله وتناقضاته الناتئة كتضاريس الأطلس ، تحتد حينا وتتفاقم حدة أحيانا تستقيم آونة وكثيرا ما توغل بك فى منعرجات فذة ...

● **الأدباء مصمولى والمدنى والعيادى :**

عينت وزارة الشؤون الثقافية أخيرا الاديب الصديق محمد مصمولى مديرا لدار الثقافة ابن رشيق عوضا عن القصاص عز الدين المدنى الذى عين رئيسا لمصلحة الثقافة ببلدية العاصمة .

كما عين الاديب سمير العيادى على رأس دار الثقافة ابن خلدون .

نهنىء الاصدقاء الادباء مصمولى والمدنى والعيادى بهذا التعيين الجديد ونرجو لهم التوفيق فى خدمة الثقافة ببلادنا .

● **نعم اللقاء بوجه الحسن والبشر :**

قصيدة مهداة الى فخامة رئيس الجمهورية والى عضده الأيمن الوزير الاول السيد محمد مزالى بمناسبة زيارته الى ولاية القصرين .

بحر البسيط حبانى أنفس الدر ... نضدته لحبيب الشعب بالشعر
ومن قلائد نظمى صغت واحدة ... ضمختها بسنى الطيب والعطر
هدية لعميد العرب منقذنا ... من الأعاصير حتى شاطىء النصر
اعظم به قائدا قاد السفينة فى ... اعتى الدياجى بقلب دائم الصبر
وذاق ما ذاق من أهوال محنته ... مر السجون ومنفى المهمه القفر
حتى أزاح قيود الأمس وانكسرت ... على صخور ربانا شوكة الشر
أهدى إليه سلاما خالصا عبقا ... والخير أدعو له فى السر والجهر
ومن حدائق حول الشعنبى زهرا ... ورد المحبة فى كأس من التبر

* * *

بحر البسيط حباني أنفس الدر   نضدته اليوم فى عقد من الشعر
لمن أتانا وزيرا أولا وأخا   أغنت مناقبه المثلى عن الذكر
أهلا بكم فى ربوع البهجة الخضر   نعم اللقاء بوجه الحسن والبشر
نعم اللقاء بمن جاد الزمان به   فكان رمزا لنور العلم والفكر
أهلا حللتم رفيق الانس مبتسما   سهلا نزلتم عظيم الجاه والقدر
استبشر الناس والقصرين في حلل   وردية وشحتها روعة السحر
تختال فى الزينة الجذلى مباهجها   تشدو بمقدمكم سكرى بلا خمر
هذى معاملها .. هذى مصانعها   هذى فلاحتها في مستوى العصر
مدينة لكثير من عنايتكم   رعاكم الله يا اشراقة الخير
نستقبل اليوم بل في شخصكم علما   من الثقافة من أهل النهى الغر
قد زانها مثلما زانته بهجتها   وعب من وردها الممزوج بالعطر
هو الثقافة اذ تمشى على قدم   هو السياسة اذ تخطو بلا عثر
براه رب هذا العرش متزنا   بكل ما فى سجايا الخير من خير
كمعدن .. أربع .. عشرون تتبعها   تبر تلألأ فى الظلماء كالبدر
فكان كالعسجد الابريز صافية   مرآة أفكاره فى العسر واليسر
يا من هوته قلوب الناس أجمعها   عن اقتناع كلمس الانمل العشر
هواكمو لج فى عمقى وموطنه   لم يبرح الجهة اليسرى من الصدر
اذكى لهيب الحشا فى كل قافية   ناجت شرودى على قيثارة الشعر
فاضت علي عروس الشعر ملهمة   وراقصتنى حتى مطلع الفجر
حباكم الله مجدا ليس ينقصه   شيئا تواضعكم يا ذروة الفخر
حباكم العلم والاخلاق ارفعها   حباكم الفكر والاخلاص بالفكر
وزادكم بسطة فى الجسم تصقلها   رياضة ادهشت حتى ذوى الذكر
فلتهنئى تونس الخضراء وارتقبى   من المنى المبتغى نصرا على نصر
كسبت من صفوة الاخيار منزلة   جلى وعزا مدى الايام والدهر
الكيف لا الكم فى اقطاب أمتنا   وضيفنا اليوم كيف الكيف كالدر
والدر ندر عزيز فى تواجده   لكن واحدة .. تغنى من الفقر

حسن الشريف